دراسات أدبية - ٥

ديوان
الرحالة ابن جبير الأندلسي

وما وصل إلينا من نثره



جمع وتحقيق ودراسة

الدكتور منجد مصطفى بهجت

دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض

ديوان
الرحالة ابن جبير الأندلسي
وما وصل إلينا من نثره

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن جبير ، محمد بن أحمد

ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي وما وصل إلينا من نثره /تحقيق منجد مصطفى بهجت .- الرياض .

... ص ؛ .. سم

ردمك : ٩٩٦٠-٦٦٢-٠-٨-×

١ - الشعر العربي - قصائد ٢ - ابن جبير ، محمد بن أحمد أ- بهجت ، منجد مصطفى(محقق) ب- العنوان

ديوي ٨١١،٦١ ١٩/٢٠٤٩

رقم الايداع: ١٩/٢٠٤٩

ردمك : ٩٩٦٠-٦٦٢-٠-٨-×

دراسات أدبية - ٥

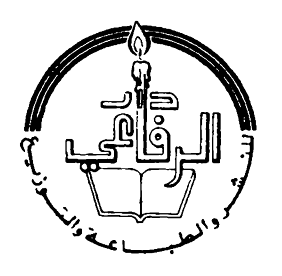
ديوان
الرحالة ابن جبير الأندلسي
وما وصل إلينا من نثره

جمع وتحقيق ودراسة
الدكتور منجد مصطفى بهجت

تقديم
الدكتور عماد الدين خليل

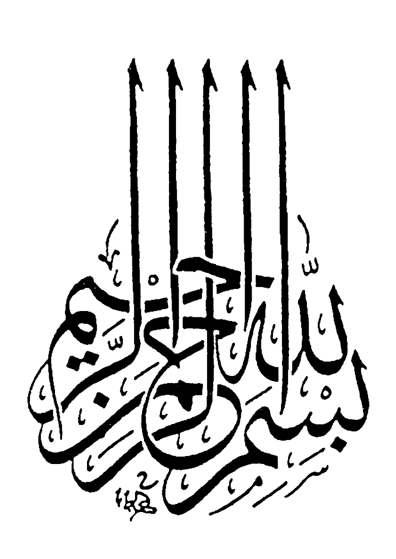
دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م





ص . ب : ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١
تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣ - ناسوخ - فاكس : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية



تقديم

١

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ؛ وبعد :

فمن منا لا يعرف ابن جبير رحالةً جواباً للآفاق ، أو يتعامل معه شاهداً جغرافياً على عصرٍ يعد بالكثير ؟ !

إن اسمه يرتبط ، حتى في أذهان الصغار ، مقترناً بخلفه المغربي ابن بطوطة الطنجي .. يلتمع الاسمان كنجمين متألقين في سماء المغرب ، منحدرين من هناك صوب مشارق الأرض الإسلامية لكي يطلاً عليها ، عن قرب ، ويحكيا عنها شيئاً كثيراً ..

إن المغرب يردُّ الدَّين .. لقد أخذ عن المشرق الكثير ، وها هو ذا يريد أن يعطي .. ولقد كان عطاؤه - بحق - سَخِياً موفوراً ..

وليس بمقدور باحث يكتب عن عصر الحروب الصليبية إلاّ ويجد نفسه مضطراً للرجوع إلى واحدٍ من أكثر شهود هذا العصر أهمية : ابن جبير الذي قَدَّمَ بِلُغَةِ الشاهد الجغرافي المعايِن عن كثب الكثير من التفاصيل عن عالم الإسلام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري .

هذا كله أمرٌ معروف تماماً ، ولكن ما هو ليس بمعروف للكثيرين ممن تعاملوا مع الرحلة الخصبة ، أن صاحبها شاعر ، وأن شهادته أطلّت على العصر بمنظور آخر موازٍ هو المنظور الشعري الذي مهما تضخمت في زجاجته

الذات على حساب الموضوع فإنه يبقى ضرورياً للمؤرخ الذي يريد أن يعرف أكثر عن هذا العصر !

إن الدكتور منجد مصطفى يضع بين أيدينا الآن ديواناً لابن جبير - وشيئاً قليلاً من نثره الفني - ديواناً توشك أبياته أن تربو على الخمسمائةٍ عدداً ، وهي في استقصاء الرجل نزرٌ يسير مما قاله ابن جبير وأشار إليه المؤرخون ، وقد يكون آل إلى الضياع.

ولكن لا بأس ، فإن هذه الثروة الشعرية التي عكف المحقق على لَمِّها من هنا وهناك ، ووضعها بين دفتي كتاب ، مدروسة ، مضاءة ، متسلسلة ، جاهزة ، لتقدّم - إذا توخينا الحق - خدمةً معرفية باتجاهات ثلاثة :

أولها : أكاديمي صِرف يسعى إلى جمع وتحقيق ودراسة تراث شعري مبعثرٍ هنا وهناك ، وبمجرد إلقاء نظرة على مقدمة هذا الكتاب وعلى قسميه الأساسيين : الدراسة والنصّ ، وتهميشاتهما ، فإنه سيتبين للمرء كيف اجتاز الباحث امتحانه محققاً بنجاح ، وقدم للدارسين والقراء نصاً شعرياً لا تعوزه إضافة قد تشرح هذه المفردة وتعرّف بذلك العلم ، وتضيء هذه الواقعة أو تلك .

وثانيها ، الذي هو بالضرورة امتداد للأول ، وضّح مادة شعرية ذات قيمة تاريخية إلى حدٍ ما ، يمكن أن يفيد منها المؤرخ الذي يجد أن من مستلزمات مهمته في رصد الظواهر والأحداث ذات الطابع التاريخي أن يرجع إلى شهادة الشعر، لأنها في نهاية الأمر انعكاس - بدرجة أو بأخرى - لمعطيات العصر الذي تتخلق فيه .

أما ثالثة الخدمات المعرفية ، والتي هي في الحق أكثرها أهمية ، فهي أن محاولة الدكتور منجد هذه ، بشروطها التحقيقية الدقيقة ، تضع بين يدي المعنيين - على وجه الخصوص - بالأدب الإسلامي الملتزم ، وأصوله

التراثية ، ثروة شعرية طيبة ، تسهم ولا ريب في تجذير حركة الأدب الإسلامي المعاصر ، وتعدّ امتداداً لمحاولات أخرى تمت وسوف تتم بإذن الله في هذا السياق[1] ، ولذا سأقف عندها لحظات .

إن الشعر الذي يطرحه ابن جبير في ديوانه المجموع هذا يوسّع مدى المعطيات الأدبية الإسلامية ، فهي كما تؤكد متابعة أغراض هذا الشعر ، ليست مقتصرة على موضوع دون موضوع ، كما أنها بالضرورة ليست مأسورة في زمن دون زمن ، ولا مقيدة بمكان دون مكان .

فنحن ها هنا لسنا في عصر الفتوحات الإسلامية ، حيث يتصور بعض الإسلاميين أن تراث الأدب الملتزم يمكن أن يوجد هناك بالدرجة الأولى . كما أننا إزاء معالجات ، وإن كانت متزامنة مع واقعة الحروب الصليبية كتحدٍّ خطير للإسلام ، فإنها تتنوع ، بحيث تمس هذه التجربة ، لكنها لا تقف عندها ، وإنما تمضي لكي تتحدث عن مواضيع شتى بالالتزام نفسه ، وبالحرص ذاته على كل ما هو إسلامي أصيل .

على مستوى المكان ، فإننا ها هنا لسنا في جزيرة العرب ، مهد النبوة ، ولا في الشام والعراق ومصر وفلسطين ، أرض الفتح المبين ، ولكننا في الأندلس في أقصى المغرب ، نستمع إلى النداء نفسه ، ونتعامل مع

---

(١) انظر على وجه الخصوص الأعمال التالية :
د. مجاهد مصطفى بهجت : التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول (وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٨٢م).
وحكمت صالح : دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي(مطبعة الزهراء ، الموصل ، ١٩٨٣م)
و د. مصطفى عليان : مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي (دارالمنارة ، جدة - ١٩٨٥م).
ود. عمر عبدالرحمن الساريسي : نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية (دار المنارة ، جدة - ١٩٨٥م) .
و د. منجد مصطفى بهجت : الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين (مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٩٨٦م) .

الوجدان الإيماني ذاته ذلك الذي صنعه الإسلام ، والذي يحكي بلغة الشعر عن الهموم نفسها تلك التي تحدث عنها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن النبوة .. المجاهدون في سبيل الله أيام الفتح .. المدافعون عن حرماته عصر الغزو الصليبي .. الواقفون على التخوم قبالة الرعب المغولي .. الموغلون في أعماق أوربا تحت رايات العثمانيين .. المتصدون لهجمات الاستعمار في مشارق الأرض الإسلامية ومغاربها في القرون الأخيرة ..

ويجب أن نتذكر ها هنا أن المحقق يتحرك على أرض يعرفها جيداً ، فهو قد سبق وأن سبر نسيج الشعر الإسلامي في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين ، وخبِرَهُ جيداً وهو يتعامل معه في دراسته الأكاديمية الموسومة بـ (الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ..)، مِن ثَمّ فإن الرجل يعرف ما يقول وهو يتحدث عن هذه المسألة أو تلك من شعر ابن جبير على مستويي الشكل والمضمون ، فلنكتفِ إذاً بالتأشير على بعض ملامح هذا الشعر ما دام أن المحقق في دراسته إياه قد كفانا مؤونة الدخول في التفاصيل التي هو أحق بها وأهلها .

٢

يبدو أن ابن جبير في قطعه الشعرية الصغيرة التي لا تعدو البيتين أو الثلاثة والأربعة ، وتتجاوز هذا الحد في أحيان قليلة ، كان متأثراً بالإمام الشافعي- رحمه الله - ، أو امتداداً له على أقل تقدير ، ولعله يجري كما يرى دارس شعره « على أسلوب كان شائعاً في عصره أولع به شعراء

الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وغيرهم » .. فهؤلاء جميعاً كانوا يعنون في هذه القطع ما أسماه النّقاد القدماء بالحكمة ، وما يمكن أن يسمى في العصر الحديث بالشعر التعليمي أو القيمي . ولا يذهبن إلى الظن أن الأمر مادام كذلك فإننا سنقرأ نظماً لا شعراً ، أو أننا بإزاء توظيفٍ للأداة الشعرية يبعد بها شيئاً فشيئاً عن مطالبها الفنية ونبضها الوجداني باتجاه الدعوة إلى هذه القيمة الخلقية والإرشاد الاجتماعي أو تلك .. هناك حيث يتضخم المضمون على حساب الشكل ، ونجد أنفسنا إزاء مقطوعات من الشعر تفتقر إلى الدم وتعاني من التضحّل والهزال .

إن تصوراً كهذا مرفوضٌ ابتداءً ، وإننا بمجرد قراءة بعض هذه القطع سنجد واضحاً أن الأمر يختلف تماماً ، ليس لأن الشافعي أو ابن جبير أوغيرهما يمتلكون خبرة شعرية متميزة ، ولكن لأن التعامل مع « الحكمة » التي هي خلاصة التجربة البشرية في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الحياة اليومية المُعاشة .. هذا التعامل يمكن أن يكون سلاحاً ذا حدّين : فأما حَدُّهُ الأول فهو المباشرة التي تجنح بالصياغة الشعرية صوب المناقص الفنية التي أشرنا إليها ، وأما حَدُّهُ الثاني فيمكن أن يقفز بهذه الصياغة إلى القمة ! ولنتذكر - على سبيل المثال - حكميات المتنبي ، فإنها من بين شعره الخصب الجزل ، متألقة تهز وجدان الأجيال ، وتملأ إحساسها بطعم الفن العذب المؤثر الجميل .

ذلك أننا هنا لسنا إزاء محاولة تعليمية حرفية صرفة كما نجد مثلاً في ألفية ابن مالك .. إن الحكمة شيء آخر تماماً ، وإن إعادة تركيبها في لغة الشعر يختلف كليةً .. إنها خبرة حيوية وليست عقلانية صرفة .. وطالما تعامل الشاعر مع الحياة ، وكان يمتلك في الوقت نفسه أداته الفنية بشكل جيد ، قدر على اجتياز التجربة بنجاح وارتفع بالتعبير الشعري إلى

المستوى المطلوب الذي لا يخفت فيه نبض الشاعرية .. بالعكس ، فإنه بتركيزه البالغ الذي هو أحد المطالب الفنية ، قد يجعل البيت والبيتين يهزان العقل والوجدان .

وبالمقابل ، فإن التعامل بفجاجة فنية مع الحكمة سيؤول ولا ريب إلى مثلبة كهذه ، وسنجد أنفسنا إزاء شعر تعليمي قد يعيننا على حفظ سُلّم القيم الخلقية بسرعة أكثر ، ولكنه لا يمنحنا طعماً شعرياً !

إننا نتذكر هنا عبارات الباحث الغربي رينيه ويليك عن العلاقة بين الأفكار والخبرات الكبيرة وبين الأدب ، إنه يؤكد - كذلك - أن ثمة خيطاً رفيعاً يفصل بين حالتي الخصب الفني والضمور ، وذلك يكمن في طبيعة تلبّس الفكر في نسيج العمل الأدبي .. فإذا عرف الأديب كيف يحقق التطعيم بشكل عفوي ، دونما أي قدرٍ من المباشرة أو التقحّم .. إذا عرف كيف يحقن الكلمات والتعابير والموسيقى بالأفكار والخبرات كطبيب متمرس ، ولا يكاد يجعل المرء يحسّ بأن هنالك تحميلاً للبناء الفني بما هو فوق طاقته أو خارج عن مقتضياته ، فإنه سيبعث إلى الوجود بعمل جليل حقاً ، وإلا فإنه التوظيف السيّئ الذي قد يقود العمل إلى التيبّس ويضعه في خانة التعليم ..

يقول ويليك :« .. لعلّ الفلسفة أو المضمون الأيديولوجي ، في السياق المناسب ، تزيد القيمة الفنية ، لأنها تعزز قيماً فنية مهمة متعددة : قيم التركيب والتلاحم . إن البصيرة في الأمور قد تزيد في عمق نفاذ الفنان وفي اتساع مداه ، لكنها قد لا تكون كذلك ، فقد يتشوش الفنان من الأيديولوجية الفائضة إذا ظلت بدون تمثّل .. وعلى كل حال تتوهج الأفكار أحياناً في تاريخ الأدب - ولنعترف أنها حالة نادرة - ولا يقتصر دور الأشخاص والمشاهد على التمثيل فقط ، بل إنها تجسد الأفكار تجسيداً

عملياً ، وعندها يحدث أن تتم المطابقة بين الفلسفة والفكر فتسمى الصورة مفهوماً ويصبح المفهوم صورةً ..»[1] وما لنا ألاّ نرجع إلى محاولات ابن جبير نفسه لكي نرى ما الذي فعله في هذا المجال ؟

إن أول ما يلحظه القارئ هو غزارة ما قدّمه الرجل ها هنا ، وتكاد تبلغ قطعه الشعرية الحكمية الصغيرة الثلاثين عدداً فضلاً عما تضمنته مقطوعاته الأكبر حجماً، والتي تعالج مواضيع أخرى ، من حكميات منبثة في ثناياها، وبمقدور المرء أن يرجع إلى القطع التالية وفق التسلسل الذي اعتمده المحقق (٤ ، ٥، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ،٤٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١، ٦٢، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤) لكي يختبرها بنفسه .

ولن نكون موضوعيين إذا قلنا بأنها جميعاً قد اجتازت تجربة التعامل مع الخبرة بنجاح ، أو أنها جميعاً تنحدر باتجاه التعليمية والمباشرة ، وبالتالي فإننا قد نقرأ ما يمنحنا بالفعل شعراً ، وقد نقرأ ما يعلمنا، ولكنه يخرج بِنا من مملكة الشعر ..

ويكفي أن نقرأ - على سبيل المثال - هذه الأبيات :

أما في الدهر معتبرُ ففيه الصفو والكدرُ
فسلني عن تقلّبه فعند جهينة الخبرُ
صحبناه إلى أجل نراقبه ونحتذرُ
فيا عجباً لمرتحل ولا يدري متى السفرُ

أو هذه :

أراك من الحياةِ على اغتراب وما لك بالإنابة من بدارِ

---

(١) أوستن وارين ، ورينيه ويليك : نظرية الأدب ص ١٥٨-١٥٩(ترجمة محيي الدين صبحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، دمشق ١٩٧٢م).

وتطمع في البقاء وكيف تبقى — وما الدنيا لساكنها بدارِ؟

أو هذه :

عليك بكتمان المصائب واصطبرْ — عليها فما أبقى الزمان شفيقا

كفاك من الشكوى إلى الناس إنها — تَسرّ عدواً أو تَسوءُ صديقا

أو هذه :

الناس مثل ظروف حشوها صبرٌ — وفوق أفواهها شيء من العسلِ

تغرّ ذائقها حتى إذا انكشفت — له تبين ما تحويه من زغلِ!

ويكفي أن نقارنها - على سبيل المثال كذلك - بهذه الأبيات :

تنزّه عن العوراء مهما سمعتها — صِيانةً نفس فهو بالحرّ أشبه

إذا أنت جاوبت السفيه مشاتماً — فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه

أو هذه :

قل إذا جئت مجلساً — وسمعت المِزاح مَهْ

واجتنب كل موردٍ — فيه تلقى المُزاحمهْ

يكفي هذا وذاك لكي يعرف المرء أن شعر ابن جبير الحكمي ليس سواء . وقد يتبادر إلى الذهن إنه ليس من حق أحد على الشاعر أن يمارس مع شعره الحكمي تصنيفاً كهذا .. ذلك أن طبيعة الخبرة التي يصوغها شعراً هي التي تتحكم في نهاية الأمر بالمستوى الفني للأبيات ، وقد يرد على هذا الاعتراض بأن الشاعر الجيد هو ذلك الذي يعرف كيف يتحاور مع الخبرات الأكثر عمقاً وتأثيراً والأقدر على دخول ساحة الشعر ، وأن يتجاوز الجزئيات الأخلاقية الاجتماعية الصرفة لكي لا تهبط بشعره عن سويته المطلوبة ، فإن جزئيات كهذه ليست من مهمة الشاعر على أية حال .

٣

كذلك الأمر في الموضوعات الإسلامية التي يعالجها ابن جبير بقطع شعرية ذات أبيات أكثر عدداً تتدرج بين الأربعة والخمسة - وربما البيت الواحد - وبين الخمسين والستين ، والتي يبدو فيها التزامه الواضح بالإسلامية امتداداً طبيعياً لحكمياته الموجزة .

فبالرجوع إلى القطع المرقمة (١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢) نجد المنحنى الشعري للرجل يرتفع بأفكاره حيناً ويهبط حيناً ، يرقُّ ويشفُّ ويذوبُ وجدانية حيناً ، ويغلظ ويباشر ويحشد الأفكار حيناً آخر ، حتى ليكاد يغدو ناظماً لا يأخذ من مطالب الشعر إلاّ تفصيلاته وبحوره وقوافيه ..

إننا نجد مثلاً في القصيدة الثالثة والعشرين واحدة من أكثر قصائده عذوبة وعفوية وصدقاً فنياً ، وقد زادها بحر المتقارب المشجي - الذي يكثر الرجل منه في ديوانه - جمالاً شعرياً !

كذلك الحال في رائيته الطويلة التي أبدعها وقد شارف مدينة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .. فلعل حَرَّ التجربة والاكتواء بنارها ما يجعل أية قصيدة تقال .. تتوهج كالجمر هي الأخرى .. وإلاّ فمن ذا ، من شعراء عالم الإسلام كله ، يوشك أن يبلغ مدينة نبيه وقائده ومعلمه ، ثم هو لا يكاد يذوب وجداً وتذوب معه في نار الشعر كلماته وأبياته وقوافيه ؟ فلو أننا عبرنا زمن ابن جبير إلى زمن البوصيري ، إلى همزيته المتألقة التي صاغتها ذكرى الرحيل إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإننا سنجد شاعراً واحداً لا شاعرين ، وجداناً واحداً يبدع الشعر لا اثنين ..

وفي كل الأحوال فإن الصدق الفني يرغم الإنسان على البكاء ، كما أرغم الشاعر نفسه على البكاء .. ويقيناً فإن العمل الشعري الذي يُبكي هو الشعر !

أقول وآنست بالليل نارا — لعلّ سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى — كأن سنا البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندسٍ — فما باله قد تجلّى نهارا ؟!

إلى أن يقول وكأنه يصرخ .. كأنه يهرع باكياً لكي يرتمي عند قبر رسول الله ﷺ :

دعاني إليك هوى كامنٌ — أثارَ الشوقُ ما قَد أثارا
فناديت : لبيك داعي الهدى — وما كنتُ عنك أُطيقُ اصطبارا
ووطنت نفسي بحكم الهوى — عليّ وقلتُ رَضِيت اختيارا
أخوض الدجى وأروض السرى — ولا أطعم النوم إلا غِرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل — لطرت ولو لم أُصادف مَطارا!

وغير ابن جبير القادم من المغرب ، والبوصيري الآتي من مصر ، ومحمد إقبال المرتحل بخياله من الباكستان ، عشرات بل مئات من الشعراء الذين جعلتهم التجربة يقولون شعراً بكل ما تتضمنه الكلمة من معنى .. ذلك لأن اللحظة ها هنا هي لحظة شعرية ، وهي كفيلة بأن توغل بما يقال في عالم الشعر .. تجعله مؤثراً وجميلاً ..

في مقابل هذا يمكن أن يضع المرء يديه على قصائد كثيرة تهبط بدرجة أو أخرى ، صوْب المباشرة .. تحمل قيماً إسلامية . . نعم .. ولكن ليس بالمستوى الذي تتطلبه تقنية الشعر ومطالبه الفنية . لنستمع - مثلاً - إلى هذه الأبيات :

بني الإسلام جدّوا في الجهادِ   بسمر الخطِ والبِيض الحدادِ
ويبيعوها فربكم اشتراها   نفوساً تربحوها في المعاد
عدوكمُ بعقركمُ مقيمٌ   ليستولي على ملك البلاد

إلى آخره ..

وهذا يكفي .. ويمكن ، تجاوزاً للاستطراد ، أن نذكّر القارئ بأن المقاطع الشعرية التي ذكرناها قبل قليل ، يمكن تصنيفها بشكل عام في اثنتين : المجموعة التي ترقى - بحق - إلى مرتبة الشعر، وتتميز بصدقها الفني ، من مثل (٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٨٢) وتلك التي تنحدر صوب التقريرية والمباشرة من مثل (١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩) .

ثمة ما تجدر الإشارة إليه ، ما دمنا بصدد الإسلامية : إن ابن جبير يكتب بين الحين والحين أبياتاً يدعو فيها إلى رفض طاعة السلطة ، وتسفيه ولاة الأمور الذين يخرجون عن الجادة .. بل إنه ليرسم بالكلمات أحياناً ، صوراً كاريكاتيرية تدفع جماهير الناس إلى السخرية منهم والصدّ عنهم .. إننا نسمعه يقول مخاطباً المواطن المسلم :

من الله فاسأل كل شيء تريده   فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضراً
ولا تتواضع للولاة فإنهم   من الكبر في حالٍ تموج بهم سكرا
وإياك أن ترضى بتقبيل راحة   فقد قيل فيها:إنها (السجدة) الصغرى

ثم هو يتوجه بالخطاب إلى (السلطة) نفسها مُحذراً إياها من فعل الزمن ، مذكّراً بالمصير الذي آل إليه واحدٌ من أشد المتسلطين على رقاب الناس غنى وعتواً :

أيها المستطيل بالبغي أقصر   ربما طأطأ الزمان الرؤوسا
وتذكّر قَول الإله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾

وإنه لاقتباس في محله تماماً .. لا تكلُّف فيه ، وإننا لنلمح كذلك استخداماً جيداً للمفردات التي تخدم الهدف الأخير : الاستطالة ، الإقصار ، الطأطأة والرؤوس .. وهي إذا وضعت قبالة بعضها في سياق الأضداد وجدناها تغدو هكذا:

الاستطالة الإقصار

تقابلها

الرأس العالي وطأطأة الرؤوس

وهي بالتالي تعكس بصدق رغبة دفينة في نفس الشاعر : أن يرى ولاة الأمر الخارجين عن الصراط ، المستعلين على جماهير الناس ، تُطأطأ رؤوسهم وتطأطأ حتى لتكاد أنوفهم تمرّغ في التراب !

وفي مكان ثالث يرسم اللاهثين وراء السلطة وكأنهم أحط شأناً من المناصب التي وُضعوا فيها ، ومن أجل التغطية على هذا الفارق المضحك المحزن بين الشاغل والمشغول ، يجد أرباب المناصب أنفسهم مضطرين للكبر .. للانتفاخ ، حتى يتجاوزوا محنة انكماشهم وتضاؤلهم ويصيروا بحجم الكرسي الذي يجلسون عليه :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبرُ
ومن سمت همته لم يكن لخطّة في نفسه قدرُ!

ويمضي ابن جبير لكي يؤكد حالة إنسانية ، أو لا إنسانية بعبارة أدق كان قد سبق وأن أشار إليها بصدد المتسلطين من ذوي السلطة والجاه .. إنهم سُكّارى ما داموا هناك ، وإن دوار السلطة لهو بحق مما يطيش بالألباب ويدور بالرؤوس :

ولاية الإنسان سكر فما دامت له دام له السكرُ !
مغايظ الدنيا وأربابها ليس عليها لامرئ صبرُ

ولن يفيقهم من السكر ويغسل الغيظ من قلوب المحزونين إلاّ ضربة يعرف العدل الإلهي كيف يسوق التاريخ إليها :

دَعْهم مع الدّهر وأحداثه حتى ترى ما يصنع الدهر

إن ابن جبير يردُّ بموقفه الشعري الملتزم هذا على القائلين بأن الشعراء ، عبر تاريخ الإسلام ، كانوا ملتصقين بالسلطة وأبواقاً لها .. يزيّنون لها بالباطل إذ تراه - لأمرٍ ما - حقاً ، ويشوهون الحق إذ تراه - لأمر ما - باطلاً . إنه بدعوته هذه التي تحمل صدقها الواضح يمنحنا مثلاً مضاداً ، وما أكثر الأمثلة المضادة لو عرفنا كيف نستنطق التاريخ .

وهذا لن يتناقض بحالٍ مع مدائحه لاثنين فحسب من سلاطين عصره الكبار : المنصور الموحدي والناصر صلاح الدين ، بل إنه ينسجم معه لأن هذين بالذات كانا يمثلان قمة الالتزام الإسلامي على مستوى الجهاد أو السلوك من موقع السلطة ، ولقد كانت مدّتا حكمهما بمثابة السعي الحريص الجاد على تنفيذ قيم الإسلام في واقع الحياة ، ومن خلال هذه الميزة التي ندرت بين الحكام ، وليس لأي دافع مصلحي آخر ، كان مديحه لهما ، ولولا ذلك ما نظم بيتاً واحداً ، وهو يقولها بوضوح في رائيته التي يخاطب بها الناصر صلاح الدين :

وحُبّك أنطقني بالقريض وما أبتغي صِلة الشّاعر !

٤

إن هذا ينقلنا إلى شهادة ابن جبير الشعرية على العصر ، وما قدّمه في هذا المجال يمكن - على قلّته - أن يخدم المؤرخ ، كذلك فإن الرجل

يمارس ها هنا وظيفته الأساسية رحالةً .. وشاهد عيان على ما يجري في البيئة التي يتحرك فيها ، والعالم الذي يَرحلُ في أطرافه .

وثمة ما يزيد على العشرين مقطوعة شعرية تؤكد هذا التوجه ، أهمها ولا ريب تلك التي تحمل الأرقام التالية (١ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٣، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦ ، ٧٦ ، ٨١) .

وبقراءة هذه القطع يتبين أنها تكاد تجري في تيارين لا ثالث لهما : أولهما الجهاد ضد خصوم الإسلام من صليبيي المشرق ، وثانيهما إعلان الحرب ضد الحركة الفلسفية وزعمائها وبخاصة ابن رشد . وتمثل دعوته لمجابهة البدع امتداداً لهذا الإعلان .

في التيار الأول نلتقي بواحدة من أطول قصائد الديوان (رقم ٣٨) تلك الرائية التي يمدح فيها الناصر صلاح الدين والتي تعتمد بحر المتقارب الذي ذكرنا ولع الشاعر به :

أطلّت على أفقك الزاهر   سعود من الفلك الدائر
فأبشر فإن رقاب العدا   تمدّ إلى سيفك الباتر !

وفي الاتجاه نفسه تمضي القطعة (رقم ١٨) لكي تحرض المسلمين على الجهاد ضد الغزاة الصليبيين وتحذّرهم من عودة القدس إليهم مرة أخرى .

وتكاد تكون سائر القطع الأخرى مخصصة للتيار الثاني الذي يستهدف (الفلسفة) وممثلها الأول في الساحة الأندلسية : (ابن رشد)، فهو حيناً يصب هجاءه ضد طائفة الفلاسفة عامة ، وابن رشد على وجه الخصوص عاداً إياها أصل الفساد وآفة العباد ، مبالغة في القول بأنها

والدهرية سواء في إنكار النبوات ، ورفض المعاد ، وكون الحياة البشرية أدواراً طبيعية « كالزرع والحصاد ».. إلى آخره . وهو حيناً آخر يتوجه بالخطاب إلى الحكام المعاصرين ، محرضاً إياهم لاستئصال شأفة الانحراف القادم من أبواب الفلسفة ، وحماية عقيدة الأمة مما يمكن أن تقود إليه من تمزق وتحريف .

إننا نجد المقطوعة الأولى التي يمدح فيها ابن جبير المنصور الموحدي ، دعوة صريحة بهذا الاتجاه :

خليفة الله دم للدين تحرسه ... من العدى وتقيه شرّ كل فئهْ

فالله يجعل عدلاً من خلائقه ... مطهراً دينه في رأس كل مئهْ

والتوجه نفسه نلحظه في المقطوعتين (٥١ و٦٠) بل إن ابن جبير يمّم وجهه صوب المشرق ، ويحرض السلطان الناصر صلاح الدين ليس على استئصال مخاطر الحركة الفلسفية هذه المرة ، وإنما على ملاحقة وتطويق البدع التي أخذت تتفشى في مدينة رسول الله ﷺ نفسها ، في واحدة من أطول قصائده (رقم ٦٧). وهذا التحريض الذي يمثل امتداداً لسابقه ولا ريب يعكس - كذلك - صورة تاريخية لما كانت تشهده بعض مدن الإسلام يومها .

ولسنا هنا بصدد تبرير موقف ابن جبير من (الفلسفة) أو تفنيده ، لأن هذا سيخرج بنا إلى تفاصيل تاريخية صرفة تتعلق بطبيعة الصراع الذي شهدته الساحة الأندلسية على وجه الخصوص بين أنصار الفلسفة وأهل السنة والجماعة ، ولكننا نودّ أن نشير مجرد إشارة إلى أن المسألة قد تكمن في أساسها بالفعل الخاطىء بالاتجاه المعاكس وبنفس القوة !

فالفلسفة ، كما هو واضح ، أداة حيادية .. منهج عقلاني للبحث

عن الحقيقة في هذه الدائرة أو تلك من الدوائر المعرفية .. ولكن توظيفها قد يجعلها تخدم الحقيقة الدينية ، وقد يقودها إلى أن تقف نقيضاً لها ..

من ثم فإن مهاجمة الفلسفة ، مطلق فلسفة ، ابتداء ، أمر ليس مبرراً بحدّ ذاته ، على الأقل بالنسبة للمسلم الذي يجد في أحاديث رسوله عليه الصلاة والسلام طلباً ملحاً للبحث عن الحكمة ، ومن أي وعاء خرجت !

ولكن الذي حدث هو أن كثيراً من فلاسفة المسلمين ، ومن خلال انبهارهم بالفلسفة اليونانية ، اندفعوا أكثر مما يجب في تقبل سائر معطياتها حتى ولو كانت تستضيف أجساماً وثنية غريبة أو عروضاً طبيعية أو دهرية ، وتوجهاتهم قد تصطدم مع مراكز الثقل الغيبية في عقيدة الإسلام ، بل إن بعضهم أوشك أن يصير (عقلانياً) صرفاً فيما هو مرادف اليوم (العلمانية) ، الأمر الذي قاد أو كاد يقود المجتمع الإسلامي إلى ما هو ليس في صلب تكوينه أساساً : ثنائية ما أنزل الله بها من سلطان بين الوحي والعقل ، بين الفلسفة والدين .. وهو أمر معروف في سائر المجتمعات البشرية إلا في مجتمع كمجتمع الإسلام يشهد تأكيداً يومياً للالتحام بين العقل والدين ، بين السماء والأرض ، وبين الوحي والمنطق ، بل بين سائر الثنائيات على امتدادها ..

يقود الافتتان بالفلسفة إلى الفرقة والفتنة ، وكان رجل كابن جبير ممن يشهر سلاح الشعر لمجابهة الخطر . ومن هذا المنطلق كذلك رأينا اثنين من أكبر العقول في تاريخ الفكر الإسلامي وأكثرها ذكاءً وتألقاً ، وأغزرها عطاءً وهما الغزالي وابن خلدون ، يقفان الموقف نفسه ، ليس من الفلسفة بصفتها التجريدية أو الوظيفية ، ولكن منها وقد تلبست

على أيدي بعض فلاسفة الإسلام ممن ارتضوا الاقتباس عن الفلسفة اليونانية ودونما إحالة متأنية على الأصول العقدية للدين الذي ينتمون إليه .. تلبّست أردية غريبة لا تنسجم بحالٍ مع نسيج المجتمع الإسلامي ، ولا تتجانس مع نبضه وإيقاعه الذي لا يعرف ثنائية ولا ازدواجاً بين العقل والدين .

٥

يعتمد ابن جبير في بنائه الشعري لغة سهلةً بسيطة ، ومفردات على غاية من التكشف والوضوح ، بحيث أن المرء قد يصطدم أحياناً بما يقود إليه هذا كله مما يوشك أن يكون (مباشرة) تفتقد الكثير من شروط الإبداع الشعري ، وتتجاوز الإمكانيات الفنية الخصبة للّغة العربية وثروتها البلاغية التي تكاد تتفرد بها بين اللغات .

لكن هذا - إذا أردنا الحق - ليس الصورة كلها ، فهناك في نسيج ابن جبير الشعري تعابير وتراكيب ومقارنات وأخيلة وصور تدل على قدرة فنية متمرسة ، وترتفع بمعطياته الشعرية عن التسطّح والفقر البلاغي .

إنه الرجل - على سبيل المثال - الذي يعرف كيف يغني مقطوعاته بالصور الشعرية المؤثرة المُقنعة التي تمنحنا المعنى المطلوب من خلال الرسم بالكلمات ، بل إن سينيّته المعروفة التي قالها على ظهر البحر وقد لاحت له جبال دانية بعد رحلته الأولى سنة ٥٨١ هـ تكاد تكون من أولها إلى آخرها صورة شعرية بديعة تكثر فيها المجازات والاستعارات لولا أنها تنقطع على حين غفلة قبل أن تصل الذروة الأمر الذي يرجّح ضياع أبياتها الأخيرة .

في ثنائية له تحت (رقم ٦٢) يشبه الناس بـ « ظروف حشوها صبر » « وفوق أفواهها شيء من العسل » وأنها « تغر ذائقها حتى إذا انكشفت » «له تبين ما تحتويه من زغل » ، ولا أعتقد أحداً يريد أن يحكي عن إحساسه بالمرارة إزاء الناس الذين يضعون على وجوههم الدميمة أقنعة مستعارة ، وعلى أرواحهم الخربة ديكوراتٍ أنيقة إلا يجد في تشبيه ابن جبير ما يعبّر بالتخييل الحسّي عن إحساسه هذا.

وها هو ذا يعاني الغربة ويتذكر وطنه البعيد ، يرسم هذه الأبيات :

غريب تذكر أوطانهُ فهيّج بالذكر أشجانهُ
يَحلُّ عرى صبره بالأسى ويعقد بالنجم أجفانهُ
ويرسل للغرب من دمعه غروباً لتسقيَ سكّانهُ

فها هنا تمرّر التجربة الوجدانية عبر مفردات حسّيّة وأخرى طبيعية ، لكي تعبّر عن بعدها الحقيقي .. السهر الذي يعقد الجفون بنجوم السماء ، والشوق الذي يجعل العين تبكي سجاماً كغروب ينحدر صوب الغرب لكي يسقي الأهل والأحباب .

والتشبيه يتضمن قدراً من المبالغة ، ما في هذا شك ، ولكنه يظل يحتفظ بصدقه الفني لأن شوق الغرباء يفعل الأفاعيل .

وهو يشبه شوقه إلى الديار المقدسة بالطائر الذي :

قص منه الجناح فهو مهيض كل يوم يرجو الوقوع لديها

وهو يعود لكي يحكي عن الغربة ويحذّر منها مشبهاً فراق الإنسان لوطنه بفراق الغصن لأصله .. لجذوره الضاربة في الأرض :

أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى؟

وهو إذ يمدح الناصر صلاح الدين يرسم هذه الصورة الحسية التي تجسد الموقف فتضع هذا الفاتح في موقع الاقتدار الكامل قبالة عدوٍّ يجد

نفسه مسوقاً للانتحار والبوار :

فأبشر فإن رقاب العدا تمد إلى سيفك الباتر

فكأنه وهو في مكانه لا يبرحه تتقدم إليه حشود الأعداء واضعةً رقابها تحت حدّ سيفه لكي يحصدها كيف يشاء .. وإنه لإيغال مثير في النفس البشرية يتخذ من المشهد المحسوس وسيلةً للإيضاح .. ونحن نعرف أن المهزوم أحياناً ، وهو يعاني من اليأس المطلق يذهب مختاراً لكي يطلب من الغالب أن يقتله .. وهذا المشهد يعيد نفسه حتى في عالم الحيوان .. الدابة المرتجفة هلعاً من زئير الأسد تهرع إليه لكي ينشب أظفاره فيها !

إلا أن استعارات ابن جبير ولمساته البلاغية ليست هكذا على مدى شعره كله ، إنها في أحيان أخرى تتضحّل ، وتتباشر ، وتفقد بعدها الشعري لكن ما تلبث أن تصبح محسّنات بديعة وزينة لا روح فيها ، وأحياناً ، مجرد مماحكات لفظية لا غير.

لنقرأ مثلاً هذين البيتين اللذين يخاطب بهما بعض أصحابه في القاهرة وقد أهدى إليه موزاً :

يا مهدي الموز تبقى وميمه لك فاء

وزايه عن قريبٍ لمن يناويك تاء

ولنقرأ - كذلك - هذا الوصف المتكلف ، الذي تغلب عليه الصنعة ، للقلم أداة للكتابة :

ولئن تقاصر قدّه فلقدّه ظلت له الأسل الطوال تقصفُ

طعن كمثل النقط منضاف إلى ضرب كما شكلت بنقط أحرفُ

... إلخ

وفي تفضيله المشرق على المغرب يرسم هذه الصورة المباشرة التي

تنقل عن الطبيعة كما هي ، والتي تكاد تخلو من الحركة والحياة :

انظر لحال الشمس عند طلوعها زهراء تصحب بهجة الإشراق

وانظر لهـا عند الغـروب كئيبةً صفـراء تعقب ظلمـة الآفـاق

والأمثلة كثيرة ، ولكننا نختتمها بهذا التشبيه الذي هو من عمل صانع لا شاعر :

قالوا الحبيب شكا جعلت فداءهُ رمداً أصـاب جفونه كالعندمِ

فأجبتهم مـازال يفتـك لحظـه في مهجتي حتى تضرّج بالدمِ

وقد يشفع لابن جبير في هذا أنه ليس بدعاً من الأمر ، فإنه يمضي على سنن تقليد فنّي شهده العصر ، ووجد الكثيرون من شعرائه أنفسهم ينساقون إلى ممارسته ولو من قبيل قتل الوقت وتزجية الفراغ ، أو المزاح اللفظي وإثبات القدرة على متابعة هذا التقليد والتفننّ فيه !

لكنه يبقى ، رغم كل تبرير ، مؤشراً واضحاً على هبوط الحس الشعري وتحوّل هذا الفن المتفرّد إلى أي شيء إلا أن يكـون هذا الشيء شعـراً مؤثراً.. وجميلاً .. والحمد لله أولاً وآخراً .

د. عماد الدين خليل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فهذا بحث شرعت فيه قبل حوالي عشرين عاماً [١] ، وبذلت فيه وسعي لأنير زاوية مظلمة من أدب الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي ، هي الشعر ، ولما أزل أعاوده بالتهذيب والتشذيب والإضافة والحذف ، حتى استوى على ساقه بصورة أخرى جديدة متكاملة بعد أن عدت فيه إلى مخطوطات تليدة ومصادر جديدة ، وبحوث طريفة .

والأمر طبعي في مثل هذا النتاج ، الذي يتصل بصنع ديوان لشاعر فقدت دواوين شعره ، وضاع ديوان رسائله ونثره ، وهو وفاء أدبي لشخصية ذات مكانة مرموقة ، شهدوا بفضلها وأقروا بمكانتها - وعلى الرغم من ذلك - نالها ما نال كثيراً من أدبائنا القدامى ، بضياع آثارهم وفقدان أشعارهم .

فلعلنا بهذا العمل الذي نقدمه نرد فضلاً سابقاً لابن جبير الشاعر الأديب ، وما أضعه بين يدي القارئ الكريم عمل لم أقف على نظائر له ، لا

---

(١) انظر: «ابن جبير الأندلسي شاعراً» بحثنا المنشور في مجلة آداب الرافدين ، العدد ٩ ص ٤٦١ - ٥٢٦ ، الموصل : ١٩٧٨م ، وبحثنا المستدرك على شعر ابن جبير ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت : المجلد ٢٩/١/١٩٨٥م ، ص ٢٠٩ .

سيما في الجانب الشعري ، وأما الدراسات التي كتبت عن رحلته فهي من الكثرة ، مما تنبئ عنها قائمة المصادر والمراجع التي أفدت منها في بحثي هذا .

اجتمع من شعر ابن جبير في هذا المجموع سبعة وثمانون نصّاً[1] بين قصيدة طويلة ، أو مقطوعة قصيرة ، أو بيت يتيم ، في حوالي خمسمائة بيت ، وهو نزر يسير مما خلفه الشاعر وأشار إليه المؤرخون ، لكنه يعطينا صورة واضحة عن شاعريته ، كما أنه يميط اللثام عن أحوال عصره بنواحيه المختلفة ، سياسية واجتماعية ، وثقافية .. وهو ينبئ عن شاعرية متميزة وذوق شعري رفيع .

وبغية استكمال الصورة ، عدت لأجمع ما تناثر من نثره بين المصادر والكتب مخطوطها والمطبوع ، فوقفت على نصوص يسيرة « تسعة نصوص » بين حكمة موجزة ، ورسالة أخوية كتبها إلى بعض أصفيائه .

وقد وقفت عند هذه الأشعار والأقوال النثرية ، زيادة على رحلته المشهورة ، وقفت عندها جميعاً بالدراسة والبحث .. محللاً إياها .. منتهياً إلى أحكام عامة في سماتها الفنية في كل من الشعر والنثر .. لذلك يجيء الكتاب في قسمين رئيسين أولهما : الدراسة وآخرهما : التحقيق .

تناولت في القسم الأول حياته وعصره ، وشخصيته وأخلاقه ، ورحلته ونثره ، وديوانه ووقفت عند موضوعات شعره بالبحث : فدرست أبرز أربعة موضوعات هي المديح والنقد الاجتماعي ونقد الفلاسفة وهجائهم ، ثم الشوق والحنين .

ثم انتقلت إلى دراسة السمات الفنية في شعره ، فوقفت عند ذوقه الأدبي من خلال ما توافر من معلومات ، وأشرت إلى مذهبه في النظم ،

---

(١) آخر نص يحمل رقم (٨٤) وجاءت نصوص أخرى تحمل أرقام (٦١ ، ٦٠ ، ٧٢) إذ هي مما ألحق على الديوان ..

وميله إلى الارتجال وإعراضه عن مذهب التصنع أحياناً ، وقصده التصنع في مقطّعاته الشعرية التي أراد في أكثرها - فضلاً عن المعاني - الإبداع الفني والبراعة اللغوية ، وسلك إلى ذلك سبيل المحسنات البديعية من جناس وطباق ، وأفضى به ذلك إلى لزوم ما لا يلزم ، كذلك مال إلى حسن التعليل والتورية والاقتباس من القرآن الكريم والتضمين من الحديث الشريف والأمثال .

وقد جاءت قصائده - من حيث بناؤها - في ضربين من النظم ، مقطعات شعرية وأخرى مطوّلات ، ومقطعاته تبلغ حوالي ثلاثة أرباع شعره .

وأما في موسيقاه ، فقد استخدم البحور الهادئة الرحبة في قصائد المديح والحكم ووصف مواقف الفراق والوداع ، بينما مال إلى الأوزان القصيرة السريعة كما هو الحال في شعر نقد المجتمع وهجاء الفلاسفة .

كما لاحظت الدراسة أن أجود أشعار ابن جبير تمثلت في قصائد الشوق والحنين إلى الوطن، وأن شعره في مجمله ليس شعر علماء وفقهاء .

وأما القسم الآخر الذي هو التحقيق ففيه يجتمع المجموع الشعري لابن جبير محققاً ومرتباً وفق الأسس العلمية التي ذكرتها حين الحديث عن ديوانه كذلك يجتمع ما وصل إلى أيدينا من نثره .

وختمتُ التحقيق بفهارس خمسة ، أولها للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق ، والثاني لأشعار الشاعر ، والثالث لنثره ، والرابع للأعلام والمدن . ثم جعلت فهرساً عاماً لما تناوله الكتاب ، ولا سيما الأخ الدكتور ناظم رشيد والقائمين بأعمال الطبع والإخراج في دار الرفاعي .

ومن الباحثين الذين استفادوا من أصول هذا الكتاب - قبل نشره - قاسم الصبري الذي كتب لي رسالة فأرسلت إليه أصول الكتاب لأنه كان بصدد إعداد رسالته للماجستير : « ابن جبير .. حياته وأدبه » جامعة اليرموك ، ١٩٩٢م .

ولابد أن أنوّه بفضل معالي الشيخ عبدالعزيز أحمد الرفاعي - يرحمه الله - إذ كان شعر ابن جبير ، مما وقع في نفسه ، وهو الأديب الناقد ، فأحب أن يطلع عليه في ديوان ، فكتب لي رسالة عام ١٩٨٩م دون سابق معرفة بيننا ، حتى قدّر للديوان أن يصدر في داره .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الإخوة الذين كان لهم دور كريم في إخراج هذا الكتاب .

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني .. وعسى أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وحسبي أني لم أدّخر وسعاً فيه ، والحمد لله أولاً وآخراً [١] .

الدكتور منجد مصطفى بهجت

الأستاذ في جامعة الموصل سابقاً

الأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

كوالا لمبور(حالياً)

رجب ١٤١٥هـ - كانون الثاني ١٩٩٥م

---

(١) لقد وقع بين يديّ كتاب بعنوان : « شعر ابن جبير » جمع وتحقيق وتقديم فوزي الخطبا - دار الينابيع للنشر والتوزيع ، عمان :١٩٩١م . وهو في (٦٣) قطعة موزعة على القوافي ، وفي التحقيق اعتمد على أحد عشر مصدراً فقط . وجاء الكتاب في مائة وعشر صفحات . وأما الديوان الذي بين يديك ففيه (٨٥) نصاً شعرياً وعشرة نصوص نثرية ، واعتمدت فيها على أكثر من ستين مصدراً . وقد عرض لكتاب الخطبا الأستاذ مأمون الصاغرجي مراجعاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٦٩ ، سنة ١٩٩٤م .

القسم الأول

الدراسة

- حياته وعصره
- شخصيته وأخلاقه
- رحلته ونثره
- ديوانه ومصادر شعره
- موضوعات شعره
- السمات الفنية في شعره

حياته وعصره

هو محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني ، كنيته أبو الحسين وأبو الحسن [(١)] البلنسي الشاطبي (نزيل شاطبة) الإسكندراني [(٢)] .
كان جده عبدالسلام بن جبير قد دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة للهجرة ، فنزل أبوه شاطبة ثم استوطن هو جيان فغرناطة ففاس ثم الإسكندرية ، كذلك أقام في سبتة ومالقة في أوقات مختلفة [(٣)] .
والكناني نسبة إلى كنانة ، والمنتسبون إلى كنانة من العلماء والفضلاء كثيرون في الأندلس [(٤)] ، وقد تصحفت النسبة عند ابن الجزري [(٥)] إلى (الكتاني) ، وكذلك عند حاجي خليفة [(٦)] ، فسمى رحلته « رحلة الكتاني » .
ولد ليلة السبت العاشر من ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ سير أعلام النبلاء جـ ٤٥/٢٢ . وكنيته بأبي الحسن جاءت في المغرب ٣٨٤/٢ ورحلة العبدري (ط الجزائر) ، وفي إيضاح المكنون ٦٢٣/٢ (أبو عبدالله) .

(٢) زاد المسافر ١١٤ ، النجوم الزاهرة ٢٢١/٦ .

(٣) الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٠/٢ .

(٤) نفح الطيب ٢٩١/١ .

(٥) غاية النهاية ٦٠/٢ .

(٦) كشف الظنون ٨٣٦/١ .

ببلنسية [١]، وقيل: كان مولده بشاطبة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة [٢] وتوفي بالإسكندرية [٣]، باتفاق المصادر - ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وستمائة ، ودفن على كوم عمرو بن العاص (رضي الله عنه) [٤]. ويرجح الدكتور شوقي ضيف أن يكون مسجد (سيدي جابر) فيها مسجده ، وأن يكون العامة حرفوا اسمه مع الزمن [٥].

أخذ العلم عن أبيه وعن جلة علماء عصره ، منهم : أبو الحسن علي ابن أبي العيش (توفي بعد ٥٦٠ هـ) [٦] وابن الأصيلي وأبو الحجاج يوسف بن يسعون (توفي في حدود ٥٤٠هـ) [٧] ، وأبو محمد القاسم بن عساكر(ت٦٠٠هـ) [٨]. والتقى في رحلاته بأكثر علماء عصره في مكة وبغداد ودمشق وحرّان [٩]. وتتلمذ عليه خلق كثير في المغرب والأندلس،من أشهرهم : الحافظ أبو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ) [١٠] صاحب التكملة لوفيات النقلة ، والحافظ أبو الحسين علي القرشي [١١] ، وأحمد بن عبدالمؤمن الشريشي (ت ٦١٩هـ) [١٢] صاحب الشروح الكثيرة .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٨٨ ، نفح الطيب ١٨٢/٢ .
(٢) التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ ، الذيل والتكملة ٦٢١/٢/٥ .
(٣) الذيل والتكملة ٦٢١/٢/٥ .
(٤) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ .
(٥) الرحلات ٧١ .
(٦) معرفة القراء ٤٢٨/٢ . غاية النهاية ٥٧٥/١ .
(٧) بغية الوعاة ٣٦٢/٢ .
(٨) نفح الطيب ٣٨٣/٢ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٤٧ .
(٩) الذيل والتكملة ٥٩٦/٢/٥ - ٥٩٧ .
(١٠) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٩/٤ .
(١١) نفح الطيب ٤٨٩/٢ .
(١٢) نفح الطيب ١١٥/١ وينظر بقية تلامذته في الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ والإحاطة ٢٣٣ .

عاش ابن جبير في ظل الموحدين[1]، وأتيحت له مجالات التعلم والثقافة في أسرته وشيوخ عصره ، وكانت الدولة الموحدية (٥١٤ - ٦٤٠هـ) قد بسطت يدها على المغرب والأندلس ، وبلغت أوج عظمتها في القوة الحربية والسياسية والحضارية ، فاستطاعت أن تضع حداً للهجمات الإسبانية ، واشتهرت معركة الأرك (سنة ٥٩١ هـ) التي انتصروا فيها ، وقد بدأ تراجع هذه الدولة إثر معركة العُقاب (سنة ٦٠٩ هـ) التي كانت السبب في إدبار دولة الموحدين وسقوطها ، وفي المشرق الإسلامي كانت الحروب الصليبية قائمة ، ولما شاع الخبر المبهج بتحرير صلاح الدين لبيت المقدس (سنة ٥٨٣هـ) قام ابن جبير برحلته الثانية .

ازدهرت الأندلس في عصر الموحدين في الحياة الثقافية والشعرية ، وبلغت مكاناً عالياً حتى قصدتها سفارات إسبانية النصرانية والدول الأوربية للصداقة وعقد المعاهدات وطلب المعونة[2] ، وقد أشار بالنثيا إلى نضج الشعر في عصر ابن جبير ، بل بلغ من كثرة العلماء الذين هنأوا أبا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح أو الزجل الدارج أن أمر بألا ينشدوه إلا البيتين الأولين من قصائدهم[3] ، ومن شعراء عصره : الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢هـ) ، وأبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ) ، كذلك عرف عصره أبا جعفر بن سعيد الذي كان شاعراً

---

(١) جاءت التسمية من دعوتهم إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة ، وزعيمها الأول أبو عبدالله المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ - ٥٢٤ هـ) ينتسب إلى قبيلة هرغة التي تسكن منطقة السوس جنوب المغرب ، وقد أوصى ابن تومرت بالأمر من بعده لأبي محمد بن عبدالمؤمن الكومي الذي حارب المرابطين وقضى عليهم سنة ٥٤١ هـ ، ورثه في الحكم ثمانية من أسرته وكانت عاصمتهم مراكش .

(٢) التاريخ الأندلسي ٤٩٩ .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي ٢٣ .

ممتازاً لعثمان بن عبدالمؤمن ، وجرى بينه وبين حفصة الركونية ما جرى بين ابن زيدون وولادة ، وابن عربي محيى الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨هـ) ، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي (ت ٦٤٩هـ)، وعلي بن موسى (ت ٦٥٨هـ) . وقد كانت لشاعرنا ابن جبير صلات أدبية بشعراء عصره ، وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته [(١)] .

---

(١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٧ .



شخصيته وأخلاقه

شخصيته وأخلاقه

نعتت كتب التراجم (ابن جبير) بنعوت كثيرة تنم عن الصلاح والفضل فقالت : إنه المقرئ والإمام الرئيس[1] ، والفقيه الزاهد ، المنقطع إلى الله[2] ، وقال المراكشي : « كان أديباً بارعاً ، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً سنيّاً فاضلاً ، نزيه الهمة ، سري النفس ، كريم الأخلاق ، أنيق الطريقة في الخط .. ونظمه فائق[3] ، عني بالآداب فبلغ منها الغاية ، وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة ، ونال بهما دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها[4] . ووصفه ابن الخطيب بأنه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب[5] وذكر تلميذه المنذري أنه : كان من أهل العلم والديانة والفضل والصّيانة[6] . ومما يؤكد على صفاته المتقدمة ، القصة التي رواها صاحب الملتمس وجعلها أغرب ما يُحكى في المروءة وقضاء الحوائج ، والسعي في حقوق الإخوان[7] ، وفي هذا المعنى يقول :

يحسُب الناس بأني متعب ... في الشّفاعات وتكليف الورى

والذي يتعبهم من ذاكَ لي ... راحةٌ في غيرها لن أفكرا

---

(١) معرفة القراء ٢/٤٨١ ، شذرات الذهب ٥/٦ .
(٢) رحلة العبدري ٢٦ .
(٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٧ .
(٤) التكملة ٢/٥٩٨ .
(٥) الإحاطة ٢/٢٣١ .
(٦) التكملة لوفيات النقلة ٤/٢٨٩ .
(٧) نفح الطيب ٣/٢٩٥ كذلك ٢/٤٨٨ .

وبـودّي لـو أقضّي العُمـر فـي خدمة الطلاب حتى فـي الكـرى [1]

كان ابن جبير سلفياً ، محباً للنبي ﷺ وآله وصحابته رضي الله عنهم ولذلك أثنى عليهم في رحلته وأشعاره [2] وهو رجل مطمئن النفس ، قانع بما يصيبه من الحياة لا يغضب إلا إذا ضاق ذرعه بالأمور كما حصل في رحلته الأولى ، وهو بين يدي الأمناء في الإسكندرية ، فاستأدوهم الزكاة عن كل ما عندهم ، ووقع التفتيش الدقيق واختلطت أسباب الحجاج وضاعت ، فعدّ ابن جبير ذلك موقف ذلّ وخزي عظيم . كذلك حين يصف أهل عيذاب وهم يشحنون الحجاج بالسفن ينيلونهم أصناف العذاب ، فيعد حكمهم حكم الطواغيت[3] .

لم يكن ابن جبير ذاهلاً عن مجتمعه ، زاهداً في إخوانه .. إنما « جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته »[4] ، ومن خلال رحلته وما تبقى من شعره نقف على شخصية العالم الفقيه المتصل اتصالاً مباشراً بمجتمعه ، وأما زهده في أخريات أيامه فلا يمثل سلوكاً معيناً كان يعيشه ثم أقلع عنه ، كما لا يمثل إقبالاً على المجون والتهتك وتخلياً عنه فيما بعد .. إنما يمثل زهد الفقيه المتحرج لا زهد العابث اللاهي .. والأمر يبدو لنا من خلال الأخبار التي رويت عنه والأشعار التي قالها ،

---

(١) ق ٢٤ .

(٢) الرحلة ٥٣ ، ق ٢٦ .

(٣) الرحلة ١٣ ، ٤٧ ، ٤٨ وينظر تاريخ الجغرافية والجغرافيين ٥١٩. وقد نقل الحميري في الروض المعطار ٤٢٣ . وصف ابن جبير لعيذاب ولأهلها وطبيعة حياتهم ، وقال عنها : « مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في صفة البحر الملح ، ومنها المجاز إلى جدة . وهي محط السفن من جدة ، تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط . وعيذاب بفتح العين في معجم البلدان ١٧١/٤ ، بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد » .

(٤) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥

تذاكر يوماً مع صاحب الملتمس حالة الزاهد أبي عمران المارتلي[*] (ت ٦٠٤هـ) ، يقول ابن جبير : « صحبته مدة فما رأيت مثله ، وأنشدني شعرين[١] ما نسيتهما ولا أنساهما ما استطعت »، أحد هذين الشعرين :

اسمع أخيَّ نصيحتي	والنُّصح من محضِ الدِّيانهْ
لا تَقربَنَّ إلى الشُّها	دَة والوَساطةِ والأمانهْ
تَسلم من أنْ تُعزى لِزَو	رٍ أو فضولٍ أو خِيانهْ

وقال صاحب الملتمس : « أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال : ما ساعدني رقة وجهي على ذلك »[٢] .

ومن الذين صحبوه : أبو تمام غالب بن محمد الأنصاري (ت٦٢٩هـ) من أهل بلنسية معدود في أدبائها ، صحب ابن جبير وروى بعض شعره[٣] ، وأنشد ملح أشعاره أبا عمرو بن الأشقر بالإسكندرية ، وكتب شعراً بعد رحلته إلى والي سبتة أبي محمد عبدالله البجّائي ، وجرت بينه وبين أبي عمران الزاهد بإشبيلية مراسلات[٤] ، فصلاته متينة بمجتمعه ، ومودته دائمة لإخوته .

ومن الأحداث البارزة في حياته ، حادث شربه ، فقد ذكر المقري : أن ابن جبير كتب في شبيبته عن السيد أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن[**] صاحب غرناطة فاستدعاه لأن يكتب له كتاباً وهو على شرابه ، فمد يده إليه بكأس فأظهر الإنقباض وقال : « سيدي ما شربتها قط » ، فقال : « والله

(*) ترجمته في المغرب ٤٠٦/١ ، الغصون اليانعة ١٣٥ ، التكملة ٦٨٧ ، وله شعر كثير في شرح الشريشي على المقامات .

(١) يريد بالشعرين : قطعتين من الشعر .

(٢) نفح الطيب ٢٩٦/٣ وتنظر القطعة الأخرى فيه كذلك .

(٣) المقتضب ١٣٦ .

(٤) نفح الطيب ٤٨٧/٢ .

(**) المقتضب من تحفة القادم ١٣٦ .

لتشربن منها سَبعاً » . فلما رأى العَزيمة شرب سبع أكوُس ، فملأ له السيد الكأس من الدنانير سبع مرات وصبَّ ذلك في حجره ، فحمله إلى منزله ، وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها ، أنه يحج في تلك السنة فأسعفه ، وباع ملكاً تزود به ، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر »[1] ؛ فمدلول الحادثة - إذا صحت - كبير ، وأثرها في نفسه عميق ، إذ أن شعوره بالذنب دفعه إلى التكفير عن خطيئته ، وقد كان محرجاً ومضطراً لإطاعة أمير الموحدين ، فحلف بعده بأيمان غليظة أن يحج ، وباع ملكاً له ، وأما تلك الدنانير التي لا تمثل مالاً طيباً بحكم اقترانها بالخمرة ، فإنه أنفقها لوجه الله .. ولعل نزعة الزهد رسخت عنده بعد هذه الحادثة .. وإن يلتفت الزهاد لهذه الكبوة التي لم يستطع دفعها عن نفسه ، وإنما ظلّ ذكره عطراً لدى معاصريه ، وهذا أبو عبدالله بن الحجاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يثني عليه بقوله :

لأبي الحسين مكارم لو أنها ... عُدّت لما فرغت ليوم المحشر
وله عليّ فضائل قد قصّرت ... عن بعض نعماها عِظامُ الأبحرِ[2]

(١) نفح الطيب ٣٨٥/٢ - ٣٨٦ .
(٢) نفح الطيب ٤٨٦/٢ .


رحلته ونشره

رحلته ونثره

اشتهرت رحلة ابن جبير شهرة كبيرة بين كتب الرحلات ، وهي التي أبرزت فيه الجانب الجغرافي ، وحظيت بعناية الدارسين والباحثين ، فَعُدّت أجمل وأصدق رحلة في تراث الفكر الأندلسي كله[1] ، ولم تكن رحلته أول رحلة مدونة في الأندلس ، إذ أن هذا اللون من الرحلات شاع منذ عهد مبكر، وأبو بكر بن العربي (٤٦٨ -٥٤٢ هـ) يعد مبتكر هذا اللون في الأندلس[2] في حين يعد ابن جبير أعظم رحالة في القرن السادس للهجرة[3] .

رحل ابن جبير ثلاثَ رحلاتٍ ، حَجّ في كلٍّ منها :

الرحلة الأولى : بدأها من غرناطة في (٨ شوال سنة ٥٧٨ هـ) ،وعاد إليها في (٢٢ المحرم ٥٨١هـ) ، وهي التي صنف فيها كتابه المشهور[4] واستغرقت عامين وثلاثة أشهر ونصفاً .

الرحلة الثانية : بدأها من غرناطة كذلك في (١٠ ربيع الأول٥٨٥هـ) وعاد إليها في (١٣ شعبان ٥٨٧ هـ)[5].

الرحلة الثالثة : بدأها من سبتة (سنة ٦٠١هـ) ، وكان قد بلغ الثالثة والسبعين ، ولم يَعُد بعدها فأمضى أكثر من عشرة أعوام حتى

---

(١) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٦ .

(٢) المصدر السابق ٤١ .

(٣) مقال أدب الرحلات في الإسلام في مجلة الثقافة العربية ، العدد ٩ ص ٢٩ .

(٤) الذيل والتكملة ٥/٢/٥٩٦ ، الإحاطة ٢/٢٣١ وانظر الرحلة ص ٧ .

(٥) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٥ ، الإحاطة ٢/٢٣٢ .

توفي (سنة ٦١٤هـ)[١].

تعددت أسباب رحلته كل مرة ، فالأولى تقترن بحادثة شرب الخمرة ، والثانية تقترن بسماعه لأخبار تحرير صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس (سنة ٥٨٣هـ) ، ويكون ذلك من أقوى الأسباب للحج وزيارة المسجد الأقصى[٢]. وأما رحلته الثالثة فكانت إثر وفاة زوجته عاتكة المدعوّة بأم المجد في (١٠ شعبان ٦٠١هـ)[٣] ، ورواية ابن القاضي أنها بسبب موت أهله وولده بفاس فرحل (سنة ٥٦٧ هـ)[٤].

والرحلات في القرون الوسطى ، كانت متصلة بدعوة الدين الإسلامي إلى الجهاد ، وأداء الحج وطلب العلم والتجارة .. وتُقدم لنا رحلة ابن جبير المطبوعة وصفاً تفصيلياً عن رحلته الأولى ، يشبه أسلوب المذكرات ، وقد عرف باسمين آخرين ، إذ نجد في أولها عنوان « تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار » وفي آخرها عبارة « انتهت رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك»[*]. وينكر كراتشكوفسكي هذين العنوانين ، ويرى أنهما منحولان[٥] ، ونستبعد أن يكون العنوان الثاني عنواناً للرحلة ، فقد ذكر ابن عبدالملك المراكشي المؤرخ الثبت ، أنه مقالة كتب بها إلى وليّه أبي الحسن ابن مقصير من فاس عند عودته إلى المشرق ، في ذي القعدة ثلاث وتسعين وخمسمائة[٦] ، أي أنه كتبها بعد عودته من رحلته الأولى التي صنف فيها كتابه ، بأكثر من عشرة أعوام ، أو لعل الرسالة أضيفت إلى الرحلة فيما

---

(١) التكملة ٥٩٩/٢ ، وفي تاريخ الفكر الأندلسي ٣١٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١١٦/١ أن رحلته الثالثة كانت (سنة ٦١٤ هـ) ، وهو وهم واضح لأن وفاته كانت في تلك السنة .

(٢) الذيل والتكملة ٦٠٥/٢/٥ .

(٣) الذيل والتكملة ٦٠٦/٢/٥ .

(٤) جذوة المقتبس ، وفي التاريخ تحريف لسنة تسعين إلى ستين . والصواب أن تكون الرحلة بعد سنة ٥٩٧هـ .

(*) الرحلة ٧ ، ٣٢٠ .

(٥) تاريخ الأدب الجغرافي ٣٠٠ .

(٦) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ .

بعد ، إذا كانت في السياق ذاته ، ولكننا لا نجد ما يوحي في الرحلة بأنها موجهة إلى صديق كابن مقصير ، كذلك لا ينسجم التاريخ المذكور مع التواريخ التي تذكرها المصادر عن رحلاته الثلاث .

اتفقت جميع المصادر على صحة نسبة الرحلة إلى ابن جبير ، باستثناء مقولة نسبت لأبي الحسن الشاري نقلها ابن عبدالملك ، إذ ذكر أنها ليست من تصنيفه ، وإنما قيد معاني ما تضمنته ، فتولى ترتيبها ونضدها بعض الآخذين عنه بناءً على ما تلقاه منه [١] .

وغير واضحة دواعي التشكيك في نسبة الرحلة ، ولكن واقع حال ابن جبير وما وصل من أخبار عنه لا يستبعد معهما صحة نسبة الرحلة إليه وإنكار هذه المقولة ، حيث لم تكن الكتابة أمراً طارئاً على ابن جبير ، فضلاً عن عمله في دواوين الموحدين لسنوات طويلة ، ونظمه الشعر في دواوين .

إن رحلة ابن جبير على جانب كبير من الأهمية ، بلغت ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الأدب العربي[٢] ، ولقد كان من أصحاب النظر التاريخي الثاقب ، واستطاع أن يضيف إلى سجل الجغرافية والرحلات صفحات من أجَلِّ ما فيه ، وتعد الرحلة قياساً إلى كتب الرحلات من أغزرها مادة وأقربها إلى روح العلم وأصدقها[٣]. ولقد ذهب إلى تقرير هذه الحقيقة الدكتور حسين مؤنس في دراسة موسعة عن الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، حيث يجده قد بلغ ذروة سامقة في أدب الرحلة ، وأن من جاء بعده لم يوفق في السير في طريقه الذي حدد مستوى رفيعاً في الأدب العالمي كله ، لا بالنسبة للادب العربي فحسب (في حدود عصره طبعاً)[٤].

---

(١) نفسه ٥٩٨/٢/٥ .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي ٣٠١ .

(٣) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤٥٢ .

(٤) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٥١٩ .

ولقد شهد القدماء - من قبل - بمقام الرّحلة ومنزلتها فوجدوا أنها نسيجة وحدها طارت كل مطار[1] .

ولا جرم أن يعجب عصريو ابن جبير والذين جاؤوا من بعدهم بأسلوب الرحلة ، ويفيدوا من المعلومات التي أوردها ، فالشريشي شارح مقامات الحريري (ت٦١٩هـ) يكثر الاقتباس منها ، والعبدري (من علماء القرن السابع) يعتمد عليها في رحلته الموسومة « الرحلة المغربية »[2]. والفاسي وخالد بن عيسى البلوي (ت ٧٣٦ هـ) ، وابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) ، والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) ، وعبدالله بن محمد البدري الدمشقي (ت ٩٠٩هـ) ، والمقري (ت ١٠٤١ هـ) ..كلهم يفيد من الرحلة[3] .

وقد وجد الدكتور عبدالرحمن حميدة « أن أسلوب ابن جبير لا مثيل له ، فهو يوجز عند وصف المدن والأوابد ، ويجيد في اللمحات العامة عن الأقاليم ، ولكنه على العكس يكثر من الألوان عندما يصف الجماهير المتحركة ، حيث يظهر « رحالتنا بارعاً في تقديم التفاصيل المميزة والرائعة »[4]. ويرى باحث آخر أن رحلته ذات نفحة أدبية[5] .

ونستطيع أن نحدد أبرز السمات المميزة لأسلوب ابن جبير في رحلته ، فهي تتمثل في السهولة واليسر والسلاسة ، وتزخر بالعاطفة العنيفة في المواقف التي تستفز مشاعره في غضب أو إعجاب .. كما يزين عبارته استخدامه المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق ، ولكن دون سرف أو مبالغة تخرجه إلى حد التكلف ، وأسلوبه - وبهذه السمات - يعد

---

(١) الإحاطة ٢/ ٢٣١ .

(٢) تنظر الرحلة المغربية « ٧٩ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ » .

(٣) ينظر تاريخ الأدب الجغرافي ١/ ٣٠٠ ، ٢/ ٥٠٦ ، جهود المسلمين في الجغرافية ٧٩ .

(٤) أعلام الجغرافيين العرب ٣٢٥ .

(٥) أدب الرحلات ١٠٩ .

منفرداً إذا قيس بالأساليب التي شاعت لأعلام الكتابة في عصره ، ثم إن طابع الأدب الذي اتسمت به رحلته جعلها متميزة على سائر كتب الرحلات التي ألفت قبله ، يحسن انتقاء ألفاظه ، ويكثر الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والأمثال والأسفار[(١)] ، وهو يفتتح كلامه بفقرة مجودة مجملة تتزين بالسجع والجناس ، وهو يرسل عبارته إرسالاً[(٢)] .

والتنوع في أسلوب ابن جبير واضح ، فهو لا يسير على وتيرة واحدة فبينما تراه يعتني بمقدماته حتى يخرج بقطع أدبية فريدة ، تجده يكتفي بتسجيل الملاحظات العابرة في مواضع أخرى ، وقد لاحظ الدكتور سامي الدهان جمال أسلوب ابن جبير ودقة تعبيره خلال الرحلة[(٣)] .

ومن الدارسين المحدثين ، يرى الدكتور حسين نصار : « ارتباك أسلوب الرحلة لأن مؤلفها كان يدوّن مشاهداته على صورة كتاب متصل مطّرد ، ثم نسق هذا الكتاب وفقاً لمراحل الرحلة ، هو أو بعض تلاميذه ، فأثّر ذلك في عبارة الكتاب وأسلوبه تأثيراً كبيراً ، فهي عبارة عامية ، تتضمن كثيراً من الألفاظ التي لا ترضى عنها اللغة الفصيحة ، والضمائر مختلفة لا تسير وفقاً للقواعد العربية الفصيحة ، وإنما على القواعد العامية ، ويلاحظ كذلك أن العبارات منفصلة ، لا ترابط بينها في كثير من الأحيان ، حتى اضطر المحقق الأول للكتاب ، واضطررت بعده إلى زيادة كثير من أدوات العطف لترتبط الجمل وتتضح معانيها »[(٤)] .

والارتباك الذي يشير إليه المحقق صحيح ، إلا أنه لم يؤثر إلا في عرض الأفكار فمن ذلك ، أنه وهو يسبق حديثه ، فيذكر ما ينال الحاج

---

(١) تنظر رحلة ابن جبير «٧٢ . ٧٨ . ١٧٨ . ١٩٢ ، ١٩٩ . ٢٨٨ . ٣٠٧» .

(٢) مقالة رحلة ابن جبير د.حسين نصار ، مجلة تراث الإنسانية ٢٣٨/١ .

(٣) قدماء ومعاصرون ١٢٤ .

(٤) مقدمة الرحلة هـ .

بعيذاب وجدّة من أذى بسبب المكس ، وهو ما سيتحدث عنه فيما بعد[1] ، كذلك نجده بعد توجهه من الإسكندرية « .. عاينا مجتمعاً من الناس عظيماً .. » ، وهكذا يسترسل في ذكر ما عاينه في الإسكندرية ، ولما ينتهي من قص الخبر يعود ليقول : « رجع الذكر » ويستمر في وصفه للرحلة إلى قوص[2] .

وأما عبارة الكتاب فقد جاءت مستقيمة لا خلل فيها - بشكل عام - باستثناء استعماله بعض المفردات العامية ذات الأصل المحلي أو المغربي أو الإسباني ، وهي مما يفهم من سياق الحديث ، وهي بمجموعها لا تشكل ظاهرة تؤثر في أسلوب الكاتب ، ونظن أن لتحريفات الناسخ أثراً في إسقاط أدوات العطف ، إذ لا يعقل أن يرتفع أسلوبه في بعض المواضع إلى درجة رفيعة ويهبط في مواضع أخرى إلى درجة الخلط في الضمائر وتفكك الأسلوب .

ومن النماذج الأدبية الرائعة : حديثه عن بيت الله الحرام ، ووصفه مجلس ابن الجوزي ، ونعته لمدينة دمشق[3] ، وحديثه عن أهوال البحر ، حيث يقول ابن جبير يصف الرياح العاصفة الغربية : « وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد، والبحر قد هاج هائجه ، وماج مائجه ، فرمى بموج كالجبال[*] ، يصدم المركب صدمات ، ينقلب لها على عظمه تقلب الغصن الرطيب ، وكان كالسور علواً فيرتفع له الموج ارتفاعاً يرمي في وسطه بشآبيب كالوابل المنسكب ، فلما جنّ الليل اشتدّ تلاطمه ، وصكّت الآذان غَماغمه ، واستشرى عصوف الريح فحُطّت الشُرُع ، واقتصر على الدلاّلين الصِّغَار دون أنصاف الصواري ، ووقع اليأس من الدّنيا ، وودعنا الحياة

---

(١) تنظر الرحلة ٣٠ ، ٥٤ .
(٢) نفسه ٣٤ ، ٣٥ .
(٣) نفسه ٥٨ ، ١٩٦ ، ٢٣٤ .
(*) اقتباس من قوله تعالى :﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ . هود ٤٢ .

بسلام ، وجاءنا الموج من كل مكان ، وظننا أنا قد أحيط بنا (*) فيا لها ليلة تَشيبُ لها سود الذّوائب ، مذكورةٌ في ليالي الشوائب ، مقدمة في تعداد الحوادث والنوائب ، ونحن منها في مثل ليل (صول)(**) طولاً، فأصبحنا ولم نكد ، فكان من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا برّ أقريطش عن يسارنا ، وجباله قامت أمامنا ، وكنا قد خلفناه عن يميننا ، فأسقطت الريح عن مجرانا ، ونحن نظن أنا قد جزناه فسُقط في أيدينا، وخالفنا المجرى المعهود الميمون ، وهو أن يكون البر المذكور منا يميناً في استقبال صقلية ، فاستسلمنا للقدر .

سيكون الذي قضي   سخط العبد أو رضي[1]

إن ريشة ابن جبير تصور لنا لوحة تملأ القلب هلعاً والأوصال فزعاً، حتى يخال القارئ نفسه في وسط البحر لا يكاد يلتقط أنفاسه ... ويوشك أن يشخص لنا صورة كتلك التي نشاهدها على رقوق الصور الضوئية (السينما) ، ولا سيما حين يستعمل الألفاظ المعبرة عن صوت اضطراب البحر ، مثل قوله : « اشتد تلاطمه ، وصكت الآذان غماغمه » .

وحين يبلغ به اليأس مداه وهجيراه يقول :« ووقع اليأس من الدنيا ، وودعنا الحياة بسلام ، وجاءنا الموج من كل مكان »[2] .

وللشيخ أبي الحسن على الندوي رأي قيّم في نثر ابن جبير وأمثاله من الأدباء غير المتفرغين للأدب ، إذ يرى أن أدبهم هو الأدب الحي الخليق

(*) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ﴾ .

(**) إشارة إلى قول الشاعر خندج المري في صول (هامش الرحلة ٢٨٩) :

في ليل صُول تَناهَى العَرض والطول   كأنما صبحه في الليل مَوصولُ

(١) الرحلة ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٨٩ ، ويُنظر ما جاء في وصف مجالس ابن الجوزي ببغداد ، ملحق ما وصل إلينا من نثره رقم (١) .

بالبقاء .. فيأتي وكأنه قطعة من نفس صاحبه ، وصورة لروحه حقيقة على النفس ، مشرقة الديباجة ، لطيفة السبك ، بارعة في التصوير .

وهذه القطع أصدق تمثيلاً للغة العربية وأدبها الرفيع ، ومحاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب ، ومن كثير من المجاميع والرسائل والمقامات والمقالات الأدبية التي تعد أساس الأدب وزهو العربية ، ومحصول العقول .

وأما الأدب التقليدي فهو ليس الأدب كله ، ولا يمثل أدبنا العالي الذي هو أجمل أداب العالم وأوسعها .[1]

وأما اللون الثاني من نثره ، فقد نوه به ابن عبدالملك المراكشي فقال : « وله ترسيلٌ بديع وحكم مستجادة »[2] . ويبدو أنه كان ذائعاً متداولاً في عصره ، حيث يذكر أنه مدون كله ، وأنه منقول[3] .

وقد وصل إلينا من ترسيله الذي يصدر فيه عن رجل يحاول تسديد خطى مجتمعه المتعثرة ، وإصلاح مظاهر الفساد وسدّ الخلل ورأب الصدع مما فشا في عصره ، وتوجيههم إلى صورة من الألفة والصفاء - خمسة نصوص تنهج أسلوب الوعظ والنصح ، والتزهيد في الدنيا والتذكير بالآخرة .

فهو يرى أن شرف الإنسان كامن في فضله وإحسانه وأن تفوقه مقرون بتفضله وإنفاقه[4] وهو يحذر من آفات اللسان في أكثر من مقولة ، إذ أنه يورد موارد التهلكة ويؤدي الزلل فيه إلى أن يودي بصاحبه[5] . وكلامه في جملته مقرر على ألسنة كثير من الأدباء والحكماء ، إلا أن سمة العناية

---

(١) مختارات من أدب العرب ، ١/١٦ - ١٧ . وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٤٠م .

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٨ .

(٣) نفسه ٥/٢/٦٠٨ .

(٤) ملحق نثره رقم ٦ .

(٥) نفسه رقم ٧،٨ .

بالتزويق اللفظي واضحة في مقولاته .. فهو يستخدم السجع والجناس بشكل واضح ، لا يبلغ حد التكلف ، بل يدرك فيه أساليب البلغاء ، لتدرك كلماته النفوس ، وتصيب منها مأرباً لا سيما وهو في موضع نصح وإرشاد ، فمن جناسه ما جاء بين كلمتي (الأعراض)و(الإعراض) ، وبين الكلمات (ما بالهم)و(بالهم)و(آمالهم)و(أعمالهم)و(مالهم)وكلمتي (هابة)، و(البصائر)و(صائر)[1]. وكذلك بين الكلمات (أداء)و(اعتداء)و(ابتداء) و(داء) وكلمتي (جناه) و(ما جناه)[2].

هذا فيما يتصل بحكمه المستجادة ، وأما رسائله الديوانية التي كتبها في شبيبته حين استخدم عند أبي سعيد عثمان بن عبدالمؤمن صاحب غرناطة ، فلم يصل منها أي شيء فيما لدينا من مصادر شأن الكثير من شعره المفقود ، وجل ما وصل ثلاث رسائل أخوية ، احتفظ بها عصريُّه ابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ) في عقوده ، يوجهها إلى الشام ويخاطب بها صاحب شيخ الشيوخ ابن حمويه .

والرسائل تأتي خالية من التاريخ .. وهي توحي لنا بأن ابن حمويه كان كبير السن ، لأنه يدعو له فيها بطول العمر ، ويبدو فيها ابن جبير معجباً كل الإعجاب بشيخ الشيوخ ، وكان أحد مريديه ، إذ يظهر ولاءه له واستمساكه به.

والثانية في الشفاعة لرجل من فقراء أهل بلده .

والثالثة كتب بها من الاسكندرية ، متشوقاً للقياه وزيارته ، بعد أن طال العهد بينهما .

وأولى الرسائل أقصرها في الحجم ويبدو أنها جزء من رسالة طويلة ، إذ لا تدل الأسطر التي وصلت منها على الحب والمودة اللذين كان ابن جبير

---

(١) ملحق نثره رقم ٥ .

(٢) ملحق نثره رقم ٦ .

يكنهما لصاحبه ابن حمويه .. وقد دخل فيها التحريف .

أما الرسالة الثانية فقد كتبها في الشفاعة لرجل من فقراء أهل بلده توجه بها إليه ، لكي يأخذ بيده ، بما كان يملكه في قومه من جاه ومكانة ، وهو يوجهها في شهر من الأشهر المباركة ، وهو يؤمل له أن ينزل الرباط مع الصوفية .. أو أن ييسر له سبيلاً يرتزق به كما يُشير تمهيد ابن الشعار للرسالة .

وثالثة الرسائل في موضوع الرسالة الثانية ذاته ، وهي أطول الرسائل الثلاث ، وتختلف عن الثانية في لواعج الشوق التي يُحَمّلها رسالتَه ، حيث يظهر شعره ولهه بشيخه ابن حمويه ، بعد أن طال عهده بفراقه وحالت الأيام دون لقياه ، وهو يشفع لسيد من أهله وذويه ، يبدو أنه سلك مسلك ابن حمويه في التصوف ، لينقطع إلى رباطه .

ومنهجه في رسائله الثلاث يخالف أسلوبه في الوعظ والإرشاد ، ويتابع منهج المترسلين من الكتاب .. إذ لا يتكلف فيها المحسنات البديعية بل يأتي السجع فيها والجناس والطباق قليلاً وبشكل مقبول ... يوافق مذهب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، ويخالف منهج المتأخرين المتكلفين أمثال ابن العميد (ت٣٦٠هـ) ، وأبي إسحاق الصابي (ت٣٨٤هـ) والقاضي الفاضل (ت٥٩٦هـ) .

ويلاحظ انتقاله وتنويعه بين النثر والشعر واضحاً في رسالته الثالثة ، كما يلاحظ اقتباسه من القرآن الكريم في رسالته الثانية .



ديوانه ومصادر شعره

ديوانه ومصادر شعره

كانت وقفتنا آنفاً عند نثر الرحالة ابن جبير ، وها نحن نتوقف عند شعره ، فقد كان من ذوي المواهب المزدوجة ، وإن غلب على شُهرته رحلتهُ ، فعرف كاتباً أكثر منه شاعراً ، فأهملت الدراسات الحديثة هذا الجانب ، أو تعجَّلت الوقوف عنده ، وجاءت أحكامهم عامة .. لجملة أمور في مقدمتها فقدان ديوانه .. ولما كانت شاعريته لا تقل شأناً عن ملكته النثرية ، وللإهمال الذي أدركها ، سنتوقف وقفة متأنية في الحديث عن ديوانه وشاعريته استكمالاً لجوانب شخصيته الأدبية .

عانى شاعرنا النظم في عهد مبكر ، وكان من الغزارة مما دفع أحدأقرانه وأصدقائه إلى جمعه ، فقد ترجم ابن عبدالملك المراكشي لمحمد بن أبي بكر بن محمد بن عقيون الغافقي المولود سنة (٥١٨ هـ) والمتوفى سنة (٥٨٤ هـ)، وذكر عنه أنه « جمع شعر ابن جبير في صباه »[١] ، وينسب ابن الأبار إلى أبي تمام غالب بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الذي صحب ابن جبير (ت٦٢٩هـ) أنه روى بعض شعره ، وقد حدث به بلفظه بين سماع ومناولة [٢] .

وشهد له علماء عصره ونقاده بالشاعرية ، فقال عنه ابن الشعار

---

(١) الذيل والتكملة ٦/ ١٤٠ .

(٢) المقتضب ١٣٦ ، التكملة ٢/٥٩٩ .

الموصلي (ت٦٥٤هـ): « كان شاعراً مجيداً ، عالماً بليغاً ، ذا أدب كثير ، وفضل شهير ، له فضائل مسمطة ، وشعر فصيح ، وموشحات بارعة »[١].

وذكر ابن الأبار البلنسي (ت٦٥٩هـ) عن شعره : أنه كثير مدوّن [٢] ويبدو أن شعره بقي متداولاً بعد وفاته ، فقد روى ابن عبدالملك المراكشي (ت٧٠٣هـ) أنه وقف من شعر ابن جبير على مجلد متوسط يكون بقدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس ، جمع أبي بكر الصولي أو نحو ذلك ، ومنه جزء سماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » ، أودعه قطعاً وقصائد في مراثي زوجه أم المجد بعد وفاتها والتوجع لها أيام حياتها[*] ، تزيد بيوته على ثلاثمائة ، سوى موشحات خمس جعلها قريباً من آخره ، ومنه جزء سماه « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع [٣] .

وما بين أيدينا من أشعاره يناهز الخمسمائة بيت توزعت أبياته على ثمانية عشر مصدراً ، بين مصادر أندلسية مشرقية ، وأندلسية ، فأقدم من أورد أشعاره عصريّه ، صفوان التجيبي الذي اعتبط شاباً سنة (٥٩٧هـ) حيث ساق لنا مزامنه ابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ) فقد فاق تربيه ، صفوان والبلوي ، حيث روى لنا أحد عشر نصاً ، وانفرد برواية تسعة منها.

وأما الرحالة العبدري (ت بعد ٦٨٨هـ) فقد احتفظ من أشعاره بتسعة نصوص انفرد برواية ثلاثة منها ، وتأتي ثاني أكبر مجموعة من أشعاره في أواخر القرن السابع الهجري لدى المؤرخ الثقة ابن عبدالملك

---

(١) عقود الجمان ج ٦ ورقة ٦٣ .

(٢) التكملة ٥٩٩/٢ .

(*) توفيت أم المجد سنة ٦٠٩ هـ بعد مدة طويلة عن خمسة وخمسين عاماً .

(٣) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، وينظر الإحاطة ٢٣٤/٢ ، إيضاح المكنون ٦٢٣/٢.

المراكشي (ت٧٠٣هـ) في موسوعته القيمة « الذيل والتكملة »، حيث ساق لنا ثلاثين نصاً، منفرداً برواية ثمانية عشر نصاً منها .

وتغفل مصادر القرن الثامن الهجري أشعار ابن جبير ، باستثناء القطع التسع التي احتفظ بها ابن الخطيب في « الإحاطة » و« السحر والشعر »، والست عند ابن ليون (٧٥٠هـ) ، إذ لا تقف إلا على نص واحد عند كل من الغبريني (ت٧١٤هـ)، والوطواط (ت٧١٨هـ)، والذهبي (ت٧٤٨هـ)[1] .

وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري تصل أكبر مجموعة من أشعار الشاعر ، فقد ساق ابن القاضي (ت ١٠٢٥هـ) ستة نصوص من أشعاره ، وأورد ابن بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ) نصاً واحداً ، أما أبو العباس المقري صاحب الموسوعة الفذة « نفح الطيب » فقد احتفظ بأضخم مجموعة شعرية للشاعر جاءت في تسعة وثلاثين نصاً ، منفرداً برواية اثنين وعشرين نصاً، ومن هنا نستطيع أن نقدر بأنّ ديوان ابن جبير وأشعاره بقيا متداولين بأيدي الناس حتى القرن الحادي عشر ، بدليل أن المقري أورد لنا أشعاراً نرجح أنه نقلها من الديوان أو من مصادر لم تصل أيدينا إليها إلى يومنا هذا ، ويتضح ما ذكرناه عن مصادر شعر ابن جبير في الجدول رقم {٢} ، كما تتضح كمية أشعار الشاعر حسب عدد النصوص في الجدول رقم {١} .

وهذا الذي بين أيدينا لا يمثل إلا اليسير من شعره الذي وصفه المراكشي آنفاً وأكثر ما وصل من أشعاره من جزئه المسمى « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » ، ويبدو أنه كان أكثر حظاً ودوراناً على ألسنة

---

(١) وذلك في كتبهم ، عنوان الدراية وغرر الخصائص ، وسير أعلام النبلاء ، ولمح السحر، ونيل الابتهاج .

الناس ، حتى تناقلته المصادر .

وأما جزؤه المسمّى (نتيجة وجد الجوانح) فقد وصل منه بيتان فقط [١] ، وموشحاته الخمس مفقودة لم نقع عليها . وأما مدائحه في بني عبدالمؤمن فقد وقفنا منها على ثلاث قطع في سبعة عشر بيتاً ، بينما يذكر ابن عبدالملك المراكشي أن له فيهم مدائح كثيرة [٢] ، فهو بعد أن يورد شيئاً من شعره في المنصور الموحدي يقول : «وله فيه غير ذلك مما يطول إيراده»[٣] ، ويقول في موضع آخر :«وأغراضه كثيرة في أشعاره ، مستحسنة ، ولولا خوف الإملال والخروج بها إلى غير ما له قصدنا لاستكثرنا منها إيثاراً لكريم آثاره ، واستطابة لإيراد أخباره وأشعاره ، وفي بعض ما أوردنا منها دلالة على انطباعه وشهادة بكرم طباعه[٤]. فإذا علمنا أن ابن عبدالملك أكثر من إيراد شعر ابن جبير ، كان لقوله دلالته الواضحة على فقدان شعره ...

وينفرد المقري برواية قصيدته الميمية ، وبعد أن يستهلها ببيتين يقول :« وهي طويلة ، وآخرها ... » ثم يورد أبياتاً [٥] .. ومن هنا يتأكد لدينا بأن ما بين أيدينا لا يمثل إلا جزءاً من شعر ابن جبير ، ولو وصل ديوانه الموصوف بأنه على قدر ديوان أبي تمام (جمع الصولي) لتحصل لدينا شيء كثير ، ويمكن ملاحظة الجدول رقم {٢} الذي يوضح ذلك [٦].

---

(١) ق ٧ .

(٢) الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ .

(٣) نفسه ٣١/٦ .

(٤) نفسه ٦٢٠/٢/٥ - ٦٢١ .

(٥) نفح الطيب ٤٩٣/٢ .

(٦) وقفت على أشعارأخرى ، بينما كان الكتاب ماثلاً للطبع وذلك في « الحلل السندسية » و« المختارات » ، و« لمح السحر » حيث تجدها في الجدولين .

وبعد أن بحثت عن مظان ديوان ابن جبير في فهارس كتب المخطوطات ولم أعثر عليه تتبعت أشعاره وتقرّيتها فيما تيسر من مصادر أندلسية ومشرقية مخطوطة ومطبوعة ، وعَزمت على إخراجها جارياً في ذلك على مذهب صنّاع الدواوين في عصرنا ، ولم أجد بأساً من تسميته بالديوان ما دام أكبر مجموع شعري له .

وقد التزمت المنهج العلمي المعهود في صناعة الدواوين فرتبت القصائد وفق حروف الروي ، بدءاً بالقافية المقيدة ، فالمفتوحة ، فالمضمومة ، ثم المكسورة ، وأخذت بأقدم الروايات أصلاً ، وأشرت إلى الروايات الأخرى في الهامش ، إلا إذا كانت الرواية مرجوحة أو مصحّفة أو محرفة حيث نثبت صوابها ، ونشير إلى ذلك . وأردفت كل نص بالمصادر التي ورد فيها ، وترجمت للأعلام الذين جاء ذكرهم في أشعاره ، كما غزوت الآيات وخرّجت الأحاديث المقتبسة حيثما جاءت ، وأشرت إلى مناسبة النص الشعري ما اهتديت له .

الجدول رقم (١)

مصادر شعره حسب كميتها

م	المصدر	عدد النصوص	ما انفرد به	ما تكرر
١	نفح الطيب	٣٩	٣٠	١٩
٢	الذيل والتكملة	٣٠	١٨	١٢
٣	عقود الجمان	١١	٩	٢
٤	الرحلة المغربية	٩	٣	٨
٥	زاد المسافر	٦	٣	٣
٦	الإحاطة	٦	-	٦
٧	جذوة الاقتباس	٦	١	٥
٨	الحلل السندسية	٦	-	٦
٩	رحلة ابن جبير	٣	١	٢
١٠	المغرب	٣	-	٣
١١	السحر والشعر	٣	٣	١
١٢	الف باء	١	-	١
١٣	الروضتين	١	-	١
١٤	عنوان الدراية	١	-	١
١٥	غرر الخصائص	١	-	١
١٦	سير أعلام النبلاء	١	-	١
١٧	لمح السحر	٦	٣	٤
١٨	نيل الابتهاج	١	-	١
١٩	أنوار الربيع	١	-	١
٢٠	مختارات من الشعر المغربي.	١	١	-
٢١	قصة يوسف	١	-	١
٢٢	إفادة النصيح	١	-	١
٢٣	مطالع البدور	١	-	١

الجدول رقم (٢)

مصادر شعره حسب قِدم روايتها

م	المصدر	المؤلف	وفاته	عدد النصوص
١	الرحلة	ابن جبير	٥٨١ [١]	٣
٢	زاد المسافر	صفوان التجيبي	٥٩٧ هـ	٦
٣	ألف باء	البلوي	٦٠٤هـ	١
٤	عقود الجمان	ابن الشعار الموصلي	٦٥٤هـ	١١
٥	الذيل على الروضتين	أبو شامة المقدسي	٦٦٥هـ	١
٦	المغرب	علي بن سعيد	٦٨٥هـ	٣
٧	الرحلة المغربية	العبدري	بعد ٦٨٨هـ	٩
٨	الذيل والتكملة	ابن عبدالملك المراكشي	٧٠٣هـ	٣٠
٩	عنوان الدراية	الغبريني	٧١٤هـ	١
١٠	غرر الخصائص	الوطواط	٧١٨هـ	١

---

(١) آثرنا إثبات تاريخ عودته من الرحلة بدلاً من وفاته سنة ٦١٤ هـ ، لأنها أدق في الدلالة على تاريخ شعره .

تتمة الجدول رقم (٢)

مصادر شعره حسب قِدم روايتها

م	المصـدر	المؤلف	وفاته	عدد النصوص
١١	سير أعلام النبلاء	الذهبي	٧٤٨هـ	١
١٢	لمح السحر	ابن ليون التجيبي	٧٥٠هـ	٦
١٣	الإحاطة	ابن الخطيب	٧٧٦هـ	٦
١٤	السحر والشعر	ابن الخطيب	٧٧٦هـ	٣
١٥	جذوة الاقتباس	ابن القاضي	١٠٢٥هـ	٦
١٦	نيل الابتهاج	أحمد بابا التنبكتي	١٠٣٦هـ	١
١٧	نفح الطيب	المقري	١٠٤١هـ	٣٧
١٨	أنوار الربيع	ابن معصوم المدني	١١٢٠هـ	١
١٩	مختارات من الشعرالمغربي	مجهول المؤلف	-	١
٢٠	الحلل السندسية	الوزير السراج	١١٤٩هـ	٧



موضوعات شعره

موضوعات شعره

شعر ابن جبير صورة لحياته في أكثر من وجه ، فطابع التدين والالتزام بالخلق الإسلامي الذي لازم حياته واضح كل الوضوح في شعره ، وهو يمثل الاتجاه الأول الذي يتناول شعره ، وأما الاتجاه الآخر فشعره المتصل برحلاته وأسفاره ... يعرض ابن جبير موضوعاته بطريقتين اثنتين : المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة ، وأهم موضوعاته ضمن هذين الاتجاهين هي :

أ - المديح :

قصيدة المديح عند ابن جبير ليست تقليدية ، فهو لا يسبغ الفضائل جميعها على ممدوحه : الكرم ، والشجاعة ، والصدق ، والغيرة ، كذلك يسمو مديحه على المدح التكسبي الذي شاع عند شعراء المديح .. فمن خلال الأمثلة التي بين أيدينا تقترن قصيدة المديح عنده بسلوك الممدوح النابع عن موقف متصل بواقع المسلمين ، فهو يوجه مديحه للشخصيات السياسية والدينية التي أعجب بها ، وقصائده الست في المدح غير مقترنة بمال أو عطاء ، يصرح بذلك فيقول :

وحبك أنطقني بالقريض ... وما أبتغي صلة الشاعر[1]

وأبرز ممدوحيه أمير المؤمنين المنصور الموحدي ، أبو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن ، مدحه في مقطوعة وقصيدتين [2] وافتخر به لأنه ناوأ الفلاسفة

---

(١) ق ٣٨ / ٤٨ .

(٢) تنظر ق : ١ ، ٥١ ، ٦٠ .

وذاد عن الدين الحنيف ، فهو بذلك لا يختلف عن المصلحين الذين يبعثون في كل مئة سنة ، وفي أخرى يقول :

بلغتَ أميرَ المؤمنين مدى المنى لأنك قد بلغتنا ما نُؤملُ
قصدت إلى الإسلام تعلي مناره ومقصدك الأسنى لدى الله يقبلُ
تداركتَ دين الله في أخذِ فرقةٍ بمنطقهم كانَ البلاءُ موكّل

وممدوحه الثاني هو صلاح الدين الأيوبي ، مدحه لأنه واحدٌ من الذين أذهلتهم انتصاراته وليس لدينا دليل على أنه التقى به ، وقد خاطبه بقصيدتين طويلتين ميمية ورائية [١] ، ونقدر من خلال الرحلة ، أن الأولى نظمت بعد المحرم سنة ٥٨٠هـ حيث يصل المدينة المنورة ويستهلها بقوله :

صلاحُ الدّين أنت له نظام فما يخشى لعروته انفصامُ
فاظهِرْ سنّة اللّه احتسابا فقد ظهرتَ بها البدعُ العِظامُ

ومن البيت الثاني يفهم بيت القصيد في قصيدته ، إذ يتوجه إلى صلاح الدين ويحرضه على النظر فيما ظهر من البدع في المدينة المنورة ، وهو ما يذكره ابن عبدالملك المراكشي في مناسبتها لكن المقري - الذي يورد بيتاً واحداً منها - يذكر أنه فيها يشكو من (شاكر) الذي أخذ المكس من الناس ، وليس في القصيدة إشارة إلى ذلك ، وإنما نجد هذه الشكوى في قصيدته الرائية [٢] : تصور لنا قصيدته بلاد الحجاز ، حين وصوله لها غير خاضعة لسلطان الأيوبيين .[٣]

---

(١) ق : ٣٨ ، ٦٧ .
(٢) ق : ٣٨ .
(٣) خضعت بلاد الحجاز لحكم الفاطميين ، كان ذلك في عهد كل من الحاكم والظاهر والمستنصر (٣٨٦ - ٤٨٧ هـ)وخلال حكم الأخير (المستنصر) استولى حلفاؤه الصليحيون حكام اليمن على الحجاز سنة ٤٥٦ هـ ، وأقاموا أسرة علوية أخرى عرفت بالهواشم أو الهاشميين أستمر حكمها حتى سنة ٥٩٨ هـ » وعلى الرغم من أن ولاة مكة والمدينة أقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبني العباس ، فإنهم حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين ، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ٢٦ ، في التاريخ العباسي والفاطمي ٣٤٢ - ٣٤٣ .

وما نالَ الحجازُ بكم صلاحاً وقد نالتهُ مصرٌ والشأم

وماورد في القصيدة من مديح بالأسلوب المباشر ، وتعداد خلال الممدوح وصفاته قليل جداً ، إذ تنصرف القصيدة إلى وصف ما رآه ووقف عليه في المدينة ، وكان ابن جبير قد ناله أذى من صاحب المكس - وهو يذكر ذلك في رحلته « ولولا مغيب هذا السلطان العادل ، صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الفرنج لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر من جهة الحاج ، وهو يشير بذلك إلى المكس الذي فرض عليهم . وجلاء الأمر في قصيدته الأخرى - الرائية التي نظمها بعد رحلته الثانية ٥٨٥هـ . إذ فيها يهنئ صلاح الدين على فتحه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ فيقول :

فتحتَ المقدس من أرضه فعادتْ إلى وصفها الطّاهر

وجئتَ إلى قدسِه المرتَضى فخلّصته من يدِ الكافرِ

ويصف الأذى الذي ينال الحجاج فيقول :

يعنّف حجاجَ بيتِ الإله ويَسطو بهم سَطوةَ الجائرِ

ويكشفُ عما بأيديهمُ وناهيكَ عن موقفٍ صاغرِ

وقد أوقفوا بعدما كوشفوا كأنهمُ في يدِ الآسرِ

فلما رفع صلاح الدين تلك المغارم ، وخصص أعطيات عوضاً عما كانوا يأخذونه من الحاج خاطبه بقوله :

رفعت مغارمَ أهل الحجاز بإنعامك الشّاملِ الغَامرِ

وأمّنت أكنافَ تلك البلادِ فهانَ السبيل على العَابرِ

وبذلك يملأ حبه قلوب الناس ويستأهل الإكبار والإجلال :

محبتكم ألقيت في النفوس بذكرٍ لكم في الورى طائرِ

فكم لك بالشّرق من حامدٍ وكم لك بالغرب من شاكرِ

وكم بالدعا لكم كلَّ عام بمكةَ من معلنٍ جاهرِ

وتلك المشقة التي نالت الحجاج من حكام الحجاز موصوفة في الرحلة بقوله :

« يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة .. وقد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها ، ينتهبونهم انتهاباً ، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً »[1] .

ذكرنا ممدوحيه - المنصور الموحدي وصلاح الدين الأيوبي ، وأما الثالث فهو الصّدر الخجندي أبو القاسم عبداللطيف بن محمد ، الذي أعجب به إعجاباً كبيراً في رحلته لما رأى من علمه وخلقه ، فوصف مجلسين من مجالسه ، وهو يحدث بالمدينة في ٧ المحرم و١٢ صفر سنة ٥٨٠هـ ، وقال : « واستجزناه فأجازنا نثراً ونظماً ، وهو أعظم من شاهدنا بهذه الجهات »[2] ، ومما قال فيه :

يا مَن حواهُ الدِّين في عَصره ... صَدراً يحلّ العِلمُ منه فؤادْ
لا يبتغي منه سوى أحرف ... يعتدُّها أشرف ذخرٍ يفادْ
إجازة يورثنيها العُلا ... جَائزة تَبقى وتَفنى البلادْ[3]

وواضح من الأبيات أنها صدرت - على سبيل الأخويات لا على سبيل المديح - بالمفهوم التقليدي - وبهذه الروح يجيب ابن جبير على أبياته فيقول :

لك الله من خاطب خلّتي ... ومن قابسٍ يجتَدي سقطَ زَندي
أجزت ما أجازوه لي ... وما حدّثوه وما صحّ عندي[4]

ب - النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان :

تؤلف شكوى ابن جبير من الزّمان نزعةً واضحةً في أشعاره ، فقد وسم

(١) رحلة ابن جبير : ٥٤ .
(٢) الرحلة ١٧٩ ، وانظر وصف مجلسيه في الرحلة ١٧٧ ، ١٩٦ ، وفي ملحق نثره نموذج منها.
(٣) ق ١١ .
(٤) الرحلة ١٧٩ .

جزءاً من ديوانه بـ « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » ، ذكر ابن عبدالملك المراكشي أنه يشتمل على أكثر من مئتي بيت في قطع ، ومن هذا الجزء بين أيدينا حوالي عشرين قطعة وقصيدة .

كان ابن جبير فقيهاً متصلاً بمجتمعه كما تقدم في حديثنا عن أخلاقه[1]، وهو يصدر في كثير من سلوكه مع المجتمع عن وجهة دينية ، فإذا شكا الزمان ، فإنما يشكو إخوان الزمان ، وينفذ من خلال هذه الشكوى إلى دعوة الإصلاح الاجتماعي بعد تشخيص المظاهر المعيبة ونقدها ، وهي نزعة لا يتفرد بها ابن جبير في عصره ، وقد كان من ألمع أعلامها في المشرق أبو العلاء المعري . وابن جبير يتحمس للالتزام بما كان عليه السلف وينكر محدثات الأمور :

قد أحدثَ النّاس أموراً فلا ... تَعملْ بها إني امرؤ ناصحُ
فما جماع الخير إلا الذي ... كان عليه السلف الصالح[2]

وكثيراً ما يكون التقاطع والتدابر سبباً إلى الضياع والفرقة ، وينتقد هذه الظواهر ، فيقول :

إلى الله أشكو ما تكن الجوانح ... تقاطعت الأرحام حتى الجوارح
فلست ترى إلا قلوباً وألسناً ... مخالفة هذي لهذي كواشح[3]

ويرى أن الأمور كلها بيد الله ، فينكر التذلل والتمسح للولاة والحكام :

من اللّه فاسألْ كلَّ شيء تريده ... فما يملكُ الإنسانُ نفعاً ولا ضراً
ولا تتواضع للولاة فإنهم ... من الكبر في حال تموج بهم سكرا
وإياك أن ترضى بتقبيل راحة ... فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى[4]

---

(١) انظر ص ٣٩.
(٢) ق ١٠ .
(٣) ق ٩ .
(٤) ق ٢٥ .

وفي أبيات أخرى يدعو إلى الترفع عن خطط الدنيا ومناصبها والتعالي على سفاسفها :

من كبرت عن قدره خطة ... داخله من أجلها الكبر
ولاية الإنسان سكر فما ... دامت له دام به السكر
دعهم مع الدهر وأحداثه ... حتى ترى ما يصنع الدّهر [1]

ويتوجه إلى البغاة الظالمين بأن يقصروا عن بغيهم :

أيها المستطيل بالبغي أقصر ... ربما طأطأ الزمان الرؤوسا [2]

ويسترسل في توجيه النصيحة للالتزام بالدين الحنيف - وعدم إهدار الوقت بجمع المال[3]، ويدعو الإنسان إلى التواضع ، ويزين صنع المعروف في أهله وتطويع شهوة الإنسان لإرادته [4]. ويصدر عن تجربة مريرة في عدد من قصائده - مما يلقاه من إخوان الزمان خلال رحلاته وأسفاره ويفقد الأمل في صلاحهم :

صبرتُ على غدرِ الزّمان وحقدِه ... وشابَ لي السّمَ الزُّعاف بشهدِه
وجرَّبتُ إخوان الزمانِ فلم أجدْ ... صَديقاً جميلَ الغَيبِ في حالِ بُعدِه
وكم غَرَّني تحسينُ ظني به فلم ... يُضيء لي على طولِ اقتداحي لزَندِه
وأغربُ من عنقاءَ في الدهر مغرب ... أخو ثقة يَسقيكَ صَافيَ ودِّه
وشاهدتُ في الأسفارِ كلَّ عجيبةٍ ... فلم أرَ من نالَ جداً بجدِّه [5]

والناس بعد هذه التجربة ظروف محشوة بالمرارة وفوق أفواهها شيء

---

(١) ق ٣٠ .
(٢) ق ٣٩ .
(٣) ق ٤٤ .
(٤) ق ٦١ ، و٦٣ .
(٥) ق ٢٠ .

من العسل[1] وهو يلقى الخطوب خلال صحبته الزمان :

ومن تَطل صحبةُ الزّمانِ له   يلقَ خطوباً به وأنكادا[2]

وتغيُّر إخوان الزمان أحد تلك الخطوب ، فيخاطب أبا عمران المارتلي بقوله :

تغير إخوان هذا الزمان   وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً على صحة   فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من شأنهم   فصرت أطالع باب البدل[3]

وينتهي إلى أن يسأل الله الراحة من دنياه لأن حاجته فيها إلى البشر والبشر بعد خلاصة تجاربه ، كسر لمنجبر ، ما همُ جبرٌ لمنكسر[4].

جـ - نقد الفلاسفة وهجاؤهم :

يشغل نقد ابن رشد عند ابن جبير مساحةً كبيرةً من أشعاره ، وهو لا يكف عن التعريض بالفلاسفة والدّهرية - وموقف الأندلسيين من الدعوات الفلسفية صارم فـ « كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فإن لهما حظاً عند خواصهم ، ولا يتظاهر بهما خوف العامة فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أطلقت عليه اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه »[5] .

وقد تبنى هذا الموقف بعض أمراء الأندلس ومنهم المنصور الموحدي ، وفي ظله أشعل ابن جبير نار الحرب ضد ابن رشد والفارابي ، وهو رجل غيور على الشريعة يخشى عليها القدح والثلم ، وكان الموحدون قد عُرفوا

(1) ق ٦٢ .
(2) ق ١٣ .
(3) ق ٥٦ .
(4) ق ٣٤ .
(5) نفح الطيب ١/ ٢٢١ .

بدعوتهم إلى الأخذ بالكتاب والسنة ، ويرى بعض الدارسين أن بغضه للفلسفة نتيجة لتأثره مما سمعه في بيئات المشرق التي اتصل بها أثناء رحلته [1] ، وهو في سبيل القضاء على دعوتهم يخاطب المنصور الموحدي بقوله :

خليفةَ اللهِ أنت حقاً ... فارقَ من السّعد خيرَ مرقى
حميتمُ الدّين من عداه ... وكلُّ من رام فيه فَتْقا
تفلسفوا وادّعوا علوماً ... صاحبها في المعادِ يَشقى [2]

ويرى فيها فساد الدنيا والدين :

قد ثبّت الغيُّ في العباد ... طائفةُ الكون والفساد
يلعنُها الله حيث كانتْ ... فإنها آفةُ العِبادِ [3]

ويجد فيها الشؤم والفحش والجهل والسفه :

قد ظهرتْ في عصرِنا فرقةٌ ... ظهورُها شُؤمٌ على العَصرِ [4]

ويقول :

يا وحشةَ الإسلام من فرقةٍ ... شاغلةٍ أنفسَها بالسَّفه
قد نبذتْ دينَ الهدى خلفَها ... وادعتْ الحكمةَ والفلسفَةَ [5]

وتشتد سورة الغضب عنده فيصفهم بأنهم مارقون من الدين يستبيحون المحرمات ويتهاونون في الفرائض :

أباحُوا كلَّ محظورٍ حَرامٍ ... وردُّوه لأنفسهم حَلالا
فيأتونَ المناكرَ في نَشاطٍ ... ويأتونَ الصّلاةَ وهم كُسالى [6]

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٥٣ .
(٢) ق ٥١ .
(٣) ق ٢١ .
(٤) ق ٣٣ .
(٥) ق ٤٩ .
(٦) ق ٥٨ ، وتنظر : ق ١٥ ، ق ٧٦ ، ق ٨١ .

وقد كان من شأن المنصور الموحدي أن نكب ابن رشد سنة ٥٩٣هـ ، إلا أنه لم يلبث أن أرسل إليه وعفا عنه ، ويقال : إن ابن جبير شهد دفن ابن رشد وكان في حال تأثر شديد[١] .

د ـ الشّوق والحنين :

قام ابن جبير - كما تقدم - برحلات ثلاث ، كانت الأولى سنة ٥٧٨ هـ والأخيرة سنة ٦٠١هـ ، وبين هذين التاريخين كان دائم الشعور بالشوق والحنين ، فحين يكون في وطنه يشتد به داعي الشوق إلى الأماكن المقدسة ، وما أن يفصل عن البلاد المقدسة حتى ينكص شوقه ويرتد إلى وطنه الذي تغرب عنه ، استمع إليه وقد تحرك إلى الرحلة الحجازية :

أقول وقد دعا للخير داع | حننت له حنين المستهام
حرام أن يحل بي اعتياض | ولم أرحل إلى البيت الحرام
فلا طافت بي الآمال إن لم | أطف ما بين زمزم والمقام
ولا طابت حياة لي إذا لم | أزر في طيبة خير الأنام
فأهديه السلام وأقتضيه | رضا يدني إلى دار السلام[٢]

وحين يهنىء حجاجاً عائدين سبق له أن اجتمع بهم في مكة يشتد وجده وشوقه ليقول :

يا وفود الله فزتم بالمنى | فهنيئاً لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات معكم | فلهذا برّح الشوق بنا
أنتم الأحباب نشكو بعدكم | هل شكوتم بعدنا من بعدنا
ما عنى داعي النوى لما دعا | غير صب شفّه برح العنا[٣]

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٥٣ هامش ٣ .
(٢) ق ٦٨ .
(٣) ق ٦٩ .

والمقصورة في وزنها وعدد أبياتها توافق قصيدة نظمها أبو بكر السلاوي[1] (ت ٥٦٣ هـ)، إلا أنها تختلف عنها في قافيتها ، ومطلع قصيدة السلاوي :

يا حداةَ العِيس مهلا فعَسى   يبلغ الصب لديكم أمَلا

وهي في ستة عشر بيتاً ، ومن النظر في القصيدة يتجلى بوضوح أن كلتا القصيدتين يقف عند الحادي وآثاره في النفس ، ويذكران تباريح الشوق وانسكاب الدموع وجريانها ، وكلتا القصيدتين تذكر الأماكن المقدسة ، السلاوي يشير إلى عرفات ويثرب ، وابن جبير يذكر الخيف ، إلا أن لواعج الشوق وتباريحه كانت عند السلاوي أشد مما نجد في قصيدة ابن جبير .

وحين يكون بعيداً عن وادي العقيق يقول :

سكان وادي العقيق شوقي   إليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو   أهديتموها إليَّ زادا[2]

وينفدُ صبره بعد أن يجور الزمان عليه بفراق أهل طيبة فيجاري دمعه أدمع المزن[3] ، وترهف مشاعره بحب النبي الكريم ، فحين يقترب من مدينة الرسول ﷺ يثير سراج الهدى له الدرب ، والليل يتجلى نهاراً ، وشذا المسك يفوح من الديار ، والرواحل تبتدر مسرعة بعد أن كانت تشتكي النصب .

وهو يمضي ببغيته لا يملك إلا البكاء :

سوى أننا لم نطق أعينا   بأدمعها غلبتنا انفجارا[4]

ويمضي ابن جبير في وصف لواعج الشوق وعظيم السرور بلقاء حبيبه سائلاً الله سبحانه أن يمهد له - بلحظة من الرسول ﷺ - جنته .

---

(١) تنظر قصيدته في زاد المسافر ص ١٥٨ .
(٢) ق ١٤ .
(٣) ق ٢٧ .
(٤) ق ١٩/٢٨ .

وكانت النزعة مستحكمة في أشعار الأندلسيين في تفضيل الغرب على الشرق - تروم من ذلك إلى إثبات الشخصية الأندلسية - وفي ذلك كتب ابن حزم والشقندي وابن سعيد رسائلهم[1] .. لكن شوق ابن جبير وضميره منشدان إلى بلاد الشرق لكرامة من فيه ... فإذا برحت به الغربة وذاق لأواءها تذكر أوطانه ، وأرسل دموعه قرابين ، فمما قاله وهو بمصر :

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة   بأحواز مصر والأحبة قد بانوا
فقلت لخلّي في النوى جد بدمعةٍ   فليس لنا إلا المدامع قربانُ [2]

وهو يعاود البكاء في تذكر الأوطان دائماً :

ويرسل للغرب من دمعه   غروباً لتسقي سكانه[3]

وحين يقطع غصناً نضيراً فيذوي في يده يقول :

لا تغترب عن وطن   واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا   ما فارق الأصل ذوى[4]

ونراه في موقف آخر يشتاق إلى غرناطة فيقول :

يا دمشق الغَرب هاتِيـ   ـكَ لقد زِدتِ عليها
تحتك الأنهارُ تَجري   وهي تنصَبُّ إليها[5]

وتجود قريحته بشعر رائق ، يضطرب بالعواطف حين تلوح له جبال « دانية » وهو على ظهر البحر عائداً من رحلته الأولى .

ياليت شعري والآمال معوزة   وربما أمكنت يوماً لمختلس
هل يدنون مزار الشوق أن به   ما شئت من نُهُزٍ للأنس أو خلس

---

(١) أورد المقري رسائلهم في نفح الطيب ، ونشرها د. صلاح الدين المنجد بعنوان : فضائل الأندلس وأهلها (ط دار الكتاب الجديد ١٩٦٨م ، بيروت) .

(٢) ق ٧١ .

(٣) ق ٧٠ .

(٤) ق ٨٣ .

(٥) ق ٨٠ .

وهل تعودنَّ أيامٌ رشفتُ بها سلافة العيش أحلى من جنى اللعس
حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا أيدي المسرات من عيد إلى عرس[١]

والملاحظ أن شوق ابن جبير وحنينه متصلان بوطنه في أكثر القطع التي نظمها ، وفي الوطن ذكريات عزيزة تقترن بالأهل الذين خلف فيهم الله سبحانه ، واستودعه إياهم .

أيا ربُّ أهلي في يديك وديعةٌ وما عدمت صوناً لديكَ الودائع[٢]

وهو يتشوق لأهله وخلانه في قطع أخرى فيكتب أبياتاً يخاطب فيها البجائي والي قضاء سبتة بلواعج شوقه ، وحبه لزوجه التي وسّدها الثرى هناك :

فلو أستطيعُ ركبتُ الهوا فزرتُ بها الحيَّ والميّتا[٣]

كما يتشوق إلى جارية بغرناطة ، ويرسل تباريح الشوق التي لا صبرَ له عليها :

ولي بغرناطةٍ حَبيب قد غلّقَ الرّهن في يديه
ودّعته وهو بارتماضٍ يُظْهِرُ لي بعضَ ما لَديه[٤]

وكنا نؤمل أن يستوعب شعره وصف البلاد العريضة التي طاف بها وضرب في أرجائها ، فلم نحظ بشيء يذكر فيه ، وقد ظفرنا بقطع في غزل بمحبوب [٥] واستحسان للصوت الجميل[٦] ووصف للقلم[٧] .

(١) ق ٤١ .
(٢) ق ٤٥ .
(٣) ق ٧ .
(٤) ق ٧٧ .
(٥) ق ١٦ .
(٦) ق ٣٥ .
(٧) ق ٥٠ .

السمات الفنية في شعره

السمات الفنية في شعره

لا شك أن ابن جبير نال قسطاً من الثقافة الأدبية ، فهو يروي الشعر ويحفظ نصوصاً منه ، وهو يهتز لجيد الشعر حين يستمع لرئيس الشافعية صدر الدين الخجندي ينشد أبياتاً في مدح الرسول ﷺ [1]، ويعجب بابن الجوزي وهو ينشد بأشعار من النسيب مبرّحة التشويق بديعة الترقيق تشعل القلوب وجداً ... « وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام »[2] حين تثور الريح الشمالية ويكابد الأمرّين يقول : فلله در القائل :

البحر مرُّ المذاقِ صعبُ	لا جُعلتْ حاجتي إليه
أليس ماءً ونحن طينٌ	فما عسى صَبرنا عليه[3]

ويروي أبياتاً لأبي محمد عبدالخالق المسكي حين مجيئه من قرافة مصر ، جرت بين يحيى بن هذيل وابن القوطية[4]، كما يأخذ بالمباح في السماع حين يقول :

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة	يرون بها لحن القريض المحبرِ
ومن لم يحركه السّماع بطيبة	فذلك أعمى القلب أعمى التصورِ

(١) الرحلة ١٧٨ .

(٢) الرحلة ١٩٩ .

(٣) الرحلة ٢٨٨ ، والبيتان لابن رشيق القيرواني ، ينظر الديوان ٢٢٦ .

(٤) بدائع البدائه ٥٥ .

وأهـلَ الحجـا أهلُ الحجاز وكلهـــم رأوه مباحـاً عندهـم غـيرَ مُنكـرِ
فـإنّ رسـولَ الله قـد قـال زيّنــوا بأصـواتكم آي الكتـاب المطهـرِ
فإنْ أكُ مُغـرى بالسـّماع وحسنه فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفرِ (١)

وحمل ابن جبير قلباً كبيراً يعتلج بعاطفة جياشة ، دفعه إلى التأسي بالرحلة في سن كبيرة بعد وفاة زوجه (أم المجد) ، وهو أمر لا يقدم عليه الكثيـرون . وقد حرمنا للأسف ديواناً نادراً في الشعر الأندلسي أفرده في رثاء زوجه لمكانتها في نفسه ، فهو أول ديوان أفرده شاعر عربي كبير لبكاء زوجته الراحلة (٢).

ولم يكن نظم الشعر عند ابن جبير عملية مؤرقة ، يكد ذهنه فيها ، وإنما كان يسحُّ بالشعر وينساب انسياباً ، فقد نظم قصيدته الرّائية ارتجالاً حين تراءَتْ له المدينة(٣) ، ومن خلال أشعاره يلمح العبدري أن ابن جبير متأثر في بعض أشعاره بمنصور الفقيه (ت سنة ٣٠٦هـ)(٤).

سلك ابن جبير في أشعاره سبيلين : المقطعات الشعريـة والقصائـد الطويلة .. والأسلوب الأول كان شائعاً في عصره ، أولع به شعراء الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي والرصافي البلنسي وغيـرهم .. ومقطعاته تؤلف - من خلال مجموع شعره - نسبة عـالية ،

---

(١) ق ٣٥ (وإباحة السماع وردت بمذهب مالك).

(٢) مقالة رحلة ابن جبير - مجلة تراث الإنسانية ١/ ٢٣٩ ، وكان الشعراء قديماً رثوا زوجاتهم إلا أننا لا نعرف من ترك ديواناً كاملاً في رثائها ، ومن الذين رثوا زوجاتهم بالأندلس ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠ هـ) والأعمى التطيلي (ت ٥٤٢ هـ) وأبو عامر ابن الحمارة الغرناطي تلميذ ابن باجة الفيلسوف منها :

ولمــا أن حللـت الـتراب قلنـا : لقــد ضلــت مواقعهـا النجـوم

(٣) تنظر ق ٢٨ .

(٤) رحلة العبدري ٧١ .

حوالي ثلاثة أرباع شعره ، وأما قصائده الأخرى ذات النفس الطويل فهي ضئيلة ، وقد استأثرت المقطوعة بإعجاب الأندلسيين حتى كان ذلك مدعاة لفخر بعض الشعراء [١] .

وفي الغالب تستهدف المقطوعة الشعرية عند ابن جبير : الإبداع الفني ، والبراعة اللغوية ، والكثير منها في ديوانه الموسوم « نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان » .

وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الأخرى في مقطوعات كثيرة [٢] استمع إليه يقول :

سكان وادي العقيق شوقي إليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو أهديتموها إليَّ زادا
عهد لنا عندكم حميد يا ليته بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني وبعدكم للجفون عادى [٣]

فالتجنيس واضح في (زادا) بالبيتين الأولين و(عادا) بالأخيرين، ومثل ذلك بين لفظتي (الرشد) و(رشد) في قوله :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك [٤]

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومه يفضي به إلى (لزوم ما لا يلزم)

---

(١) هجا الأبيض بن صارة الشنتريني فقال :

غروه أن قالوا شويعر قطعة لا شاعر فحل يمر وينتقض

يريد أن الشاعر أصبح مغروراً لأن الناس أعجبوا بمقطوعاته القصار ، ينظر : ابن صارة الأندلسي ٢٣ .

(٢) انظر ق ١٣ و ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٤٨ و٦٩/٧ ، ١١ ، ١٦ .

(٣) ق ١٤ .

(٤) ق ١٥ .

وهو أن يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لا تتطلبها قواعد علم القافية ، زيادة في الإيقاع الموسيقي للقافية وإظهاراً للمهارة ، ونلقى ذلك في عشر مقطوعات ، ففي المقطوعة الأولى المذكورة آنفاً التزم حرف الروي بالألف ، وفي المقطوعة الثانية .. التزم بحرف الدال والجيم .. ووصل بالكاف .. وتتجلى قابليته أبرع ما تكون في قوله :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز   فقد نال أفضل ما أمله
وإن زار قبر نبي الهدى   فقد أكمل الله ما أم له [1]

وقوله :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى   وحط عن النفس أوزارها
وإن السّعادة مضمونة لمن   حل طيبة أو زارها [2]

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اللزوميات تتدرج من ثلاثة أصوات إلى ثمانية ، والنوع الأخير هو أقصى ما يمكن أن يطمح إليه الشاعر من الموسيقى . وهي تتطلب في إنشادها ما يقرب من ثانية ونصف [3] .. ويلاحظ أنّ ابن جبير في لزومياته يلتزم بوحدة زمنية ، كما هو واضح في المقطوعتين الأخيرتين .. وهو في هذا يعكس لنا ملكته اللغوية وثقافته فيها .

ومن فنون البديع الأخرى التي التزمها فضلاً عن الجناس حسن التعليل والتورية استمع إليه يقول :

---

(١) ق ٥٧ .

(٢) ق ٢٩ وانظر كذلك ق ٨ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٩ .

(٣) موسيقى الشعر : ٢٧٨ .

أخـلاَّء هــذا الزمـان الخـؤون   توالــت عليـه صروف العِـللْ
تَغـيّر إخــوان هــذا الزمــان   وكــلُّ صــديق عَــراه الخَـللْ
وكانــوا قــديماً علــى صِحّــة   فقــد داخلتهــم حــروف العِـللْ
قضيــت التّعَجــب مــن شأنهـم   فصـرتُ أطالـعُ بـابَ البـــدل[1]

فلفظتا (العلل والبدل) فيهما مدلول اصطلاحي في علم المنطق .. وهو يريد بهما المعنى الآخر ، وقصده التورية اضطره إلى الوقوع في خطأ التضمين ، فأورد (العلل) مرتين في معنى واحد قبل مضي سبعة أبيات، وقد استطاع الشاعر باستخدامه لأسلوب السّخرية والتهكم أن يجسد لنا صورة ذات مدلول بليغ لتغير الناس وتقلبهم .

كذلك نجد أن ابن جبير يكثر الاقتباس من القرآن الكريم [2] والحديث الشريف والأمثال العربية المأثورة ، مكرراً ذلك في قصائد ومقطوعات كثيرة لا تخفى على المتأمل .. وهو بذلك يعكس لنا وجهاً آخر من أوجه ثقافته ويحاول أن يبسطها للسامعين . واقتباسه من القرآن الكريم في كثير منه محمود معقول ، لأنه يقصد من ورائه الموعظة والنصيحة ومن ذلك قوله :

« وكـن بحبـل اللـه معتصمـاً »[3] و« أذهب الرجس عنهـم »[4]
و« جاهـدوا فـي اللّـه حق جهـاده »[5] و« قـارون من قـوم مـوسى »[6]

---

(١) ق ٥٦ .
(٢) للعلماء مواقف متباينة في الاقتباس من القرآن الكريم ، انظر أنوار الربيع ٢/٢١٧ وما بعده ، وتنظر التخريجات في الديوان .
(٣) ق ٢/١٣ .
(٤) ٢/٢٦ .
(٥) ق ٩/٢٦ .
(٦) ق ٣٩ .

و« يأتون الصلاة وهم كسالى »[1] . وفي اقتباسه من الحديث الشريف يدرك غايته كذلك بالوعظ والنصح ، من ذلك قوله :(مطهراً دينه في رأس كل مئة)[2] و(فإن زنا العيون النظر)[3] و(جنودك بالرعب منصورة)[4] و(آثرت درء الحد عنهم بشبهة)[5] .

ومن اقتباساته من الأمثال قوله : (فعند جهينة الخبر) و (إن البلاء موكل بالمنطق) و (من قبل قرعك سنّ الندم) [6] .. وفي كثير من اقتباساته يغير بزيادة أو نقصان أو إبدال . فإذا لم يقتبس قاس المعاني بلطف وبلاغة فصاغها في قالب جديد :

من الله فاسأل كل شيء تريده   فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضراً
ولا تتواضع للولاة فانهم   من الكبر في حال تموج بهم سكرا

يقول العبدري: « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي - قال ﷺ : « من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه »[7] .

كذلك قوله :

فلست ترى إلا قلوباً وألسنا   مخالفة هذي لهذي كواشح
فللقلب عقد واللسان بنطقه   يخالفه والفعل للكل فاضح

فإنه مأخوذ من قول الحسن رضي الله عنه :(وألسن تصف ، وقلوب

---

(١) ق ٤/٥٨ .
(٢) ق ٢/١ .
(٣) ق ٢/٢٢ .
(٤) ق ١٠/٣٨ .
(٥) ق ٨/٦٠ .
(٦) ق ٩/٦٥ .
(٧) ق ٢٥ رحلة العبدري ٧١ .

تعرف وأعمال تخالف)[1] .

وأما المعاني التي تجري فيها أشعاره فتتمثل فيها نظرة الفقيه المسلم للخلافة [2] ، ونزعة الفقيه في محاربة البدع [3] ، واستسلام الفقير إلى الله في كل شيء [4] . وهو يتضرع إلى ربه دائماً لطلب المغفرة [5] ، ويعلن حربه على الشّهوات ، ويسعى لبذل الخير للناس وإعانتهم . وهو ضمن إطار هذه المعاني يكثر من تردادها .. ويضطر إلى تكرارها في أكثر من مقطوعة فيقول :

فيأتــون المناكــرَ فــي نَشاط　　　ويأتــونَ الصَلاة وهم كُسالى

ويقول :

إذا قامـوا لها قامـوا كُسالى　　　علــى كــرهٍ كأنّهــمُ نيــام[6]

وهو لا يختلف كثيراً في قوله :

بالمنطق اشتغلوا فقِيلَ حقيقـة : « إن البـلاء موكـل بالمنطــق »

وقوله :

تداركت دين الله في أخذ فرقة　　　بمنطقهم كان البلاء موكــل[7]

---

(١) رحلة العبدري ٩٨ ق ٩ .
(٢) ق ١ ، ٥١ .
(٣) ق ١٠ ،٦٧ .
(٤) ق ٢٠/٩ – ١١ ، وق ٢٥، ٣٤ .
(٥) ق ١٢ ، ٤٥ .
(٦) ق ٥٨/٤ ، ٦٧/١٧ .
(٧) ق ٥٣/٢ . ٦٠/٣ .

وتتكرر هذه الظاهرة في مقطوعات أخرى[1] .

وأما الموسيقى التي أسلس لها قوافيه واطمأنت إليها نفسه فهي في كثير تتحدد بالموضوع الذي يتناوله ، فنجده في بعض يستخدم البحور الطويلة الرحبة ، كالطويل والكامل والبسيط والمتقارب ، وفي بعض آخر يعمد إلى البحور السريعة والقصيرة والمجزوءة كالسريع والمنسرح ومخلع البسيط والخفيف والمجتث ، وفي الحالين يأتي شعره في مقطوعات وقصائد ، فحظ البحور الطويلة كبير في المديح والحكمة والنصح الأخلاقي والوداع والفراق ، بينما يزداد حظ البحور القصيرة في هجاء الفلاسفة ونقد المجتمع وهجر الحبيب ... ومجموع ما نظمه في بحر الطويل والمتقارب والكامل هو ثمان وثلاثون مقطوعة وقصيدة . وهو يمثل حوالي نصف قطع المجموع الشعري تقريباً ، بينما مجموع ما نظمه في بحري السريع ومخلع البسيط هو ثماني عشرة مقطوعة وقصيدة ، وهو أقل من ربع المجموع الشعري الذي بين أيدينا ، وأكثر منظومه جاء في البحور الآنفة .

ولا نستطيع أن نفترض أن هناك موضوعات خاصة بكل بحر ، فالبحر الواحد قد يصلح لموضوعات الشعر بشكل عام ، كما أن الموضوع الواحد قد تصلح معه بحور الشعر كذلك ، ولكن نستطيع أن نقف مع الشاعر فنتأمل الوزن الذي تخيره على سبيل المثال في موضوعين مختلفين ، ففي الحكمة والنصح الخلقي يقول :

عليك بكتمان المصائب واصطبر   عليها فما أبقى الزمان شقيقا
كفاك من الشكوى إلى الناس أنها   تسر عدواً أو تسوء صديقا[2]

---

(1) ق ٦١ ، ٦٣ .
(2) ق ٥٢ .

فيستخدم بحر الطويل ذا الأمواج الهادئة والأجزاء الكثيرة ، متوغلاً إلى النفس الإنسانية في محاولة لتثبيت معاني الخير فيها ، بينما يتخير في هجائه للفلاسفة وزناً قليل المقاطع متلاحق الأجزاء يظهر جزعه مما هم عليه ، ويصبُّ جام غضبه عليهم :

يا وحشةَ الإسلام من فِرقة شاغلةٍ أنفسها بالسَّفه
قد نبذتْ دينَ الهُدى خلفَها وادّعتْ الحكمة والفلسفه[1]

وهكذا تتكرر الصورة في قطع أخرى .

استكمل ابن جبير عدة الشاعر ، واستطاع أن يسمو في بعض أشعاره إلى درجة الجودة لا سيما تلك التي يصدر فيها عن عاطفة غزيرة ، وصور فنية رائعة ، كما نجده في أشعار الشوق والحنين ، ولا ينفي ذلك هبوط المستوى الفني إلى درجة النثرية حين تتمكن منه الفكرة فيجري لأدائها ، ويتخلف في البراعة الفنية ، وليس من الإنصاف أن ننتهي إلى الحكم بأن شعره شعر علماء وفقهاء ليس بذي قيمة »[2] كما رأى بعض الدارسين ، وإن جنحت بعض قصائده إلى الأسلوب التقريري ، وخوت من العاطفة وافتقدت العنصر الذهني الفكري ، كما رأى الدكتور حكمة الأوسي[3] ، فإن عدداً آخر من قصائده تألق في ميدان الشعر ، على نحو ما بسطنا الحديث فيه آنفاً .

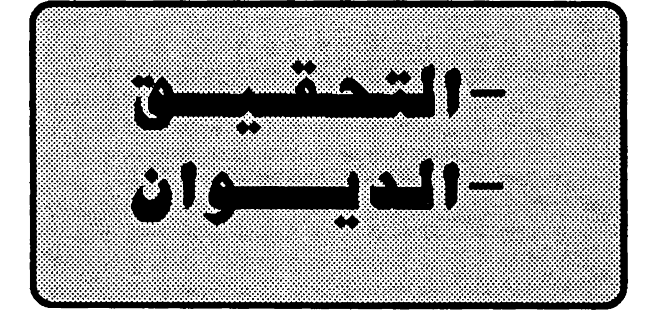
---

(١) ق ٤٩ .

(٢) مقدمة رحلة ابن جبير - تحقيق الدكتور حسين نصّار ص (ظ) .

(٣) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ١١٥ - ١١٦ .

القسم الثاني:



(قافية الهمزة)

(١)

قال يمدح المنصور الموحدي (*) : (من البسيط)

١ خليفةَ الله دُمْ للدّين تحرسه ... من العِدى وتقيه شرّ كلّ فئهْ

٢ فالله يَجعلُ عدلاً من خلائقه ... مُطهِّرا دينَه في رأس كلِّ مئهْ

(٢)

قال يخاطب بعض أصحابه بالقاهرة وقد أهدى إليه موزاً : (من المجتث)

١ يامُهديَ الموزِ تَبقى ... وميمُه لكَ فاءُ

٢ وزايُه عن قريبٍ ... لمن يُناويك تاءُ

(٣)

أنشد ابن جبير بدمشق سنة خمس وثمانين : (من المتقارب)

١ صحبتُ الزّمان وقابلتُه ... بصبر جميلٍ إذا الخطبُ نابا

٢ وكم رامَ هضمي فما هاضَ لي ... جَنَاحاً ولا فلَّ للصبر نَابا

٣ كذلك كنا قديماً إذا ما ... دعينا إلى خطة الضَيم نابا (*)

---

(١) الذيل والتكملة ٦/٣١ .

(*) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن ، أمه أم ولد ، بويع في حياة أبيه وتولى بعد وفاته سنة ٥٨٠هـ إلى أن توفي سنة ٥٩٥ وكان له من العمر ثمان وأربعون سنة ، كان من الدعاة إلى الأخذ بالكتاب والسنة وحمل الناس على الظاهر من القرآن ، وكانت محنة ابن رشد في أخريات حياته في قصة وردت في المعجب ، إلا أنه لم يلبث أن أرسل عليه وعفا عنه ، انظر ترجمته في المعجب ٣٣٦ - ٣٨٥ .

(٢) في عجز البيت اقتباس من الحديث الشريف « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » انظر سنن أبي داود ٢/٤٢٤ .

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٢٠ ، نفح الطيب ٢/٣٨٤ .

(٢) النفح : « لمن يعاديك تاء » .

(٣) عقود الجمان ج ٦ ورقة ٦٤ « ١ » ، ألف باء : ٢٧٦ « ١-٣ » .

(*) قال البلوي : « ينقصه ناب ، سيد القوم ، وناب للناقة المسنّة » فقال مستكملاً هذين المعنيين :

ولم أرضَ بالدّون من دَوننا ... ولا للدناءَة أعملتُ نَابَا =

(٤)

وقال : (من المجتث)

١ أقصِرْ عن الغَيِّ كم ذا تُدْعى لرشدٍ وتابى

٢ لا يَسلمُ العبدُ إلاّ إن استقامَ وتَابا

(٥)

وقال : (من الوافر)

١ يُنيلُ المرءُ تَبصرةً وذكرى إذا ما ابيضَّ فُوداه وشَابا

٢ وما يُرجى لتَوْبَتِه قبولٌ إذا مَزَجَ الرّياءَ بها وشَابا

(٦)

ولما وصل قرية (زريران) على شط دجلة على مرحلة من بغداد قرب مشهد سلمان الفارسي قال متذكراً بلده : (من الطويل)

١ سقى الله بابَ الطاقِ صَوْبَ غمامةٍ وردَّ إلى الأوطانِ كلَّ غريبِ

(٧)

وقال (*) : (من المتقارب)

١ بسبتَةَ لي سكنُ في الثَّرى وخِلٌّ كريمٌ إليها أتَى

٢ فلو أستطيعُ ركبتُ الهَوا فزرتُ بها الحَيَّ والميِّتا

= ومن كانَ في دهرِهِ هكذا فذاكَ يُسمَى في الأقوام نَابَا

(٤) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(١) سهلت همزة « تابى » لتنسجم مع ضرب البيت الذي يليه ، فتدخل القافية في لزوم ما لا يلزم .

(٥) عقود الجمان ٦٤/٦ .

(٦) رحلة ابن جبير ١٩٢ (بلا نسبة) ، نفح الطيب ٣٦/٢ .

(٧) لمع السحر ٥٥، نفح الطيب ٤٨٩/٢ .

(*) الأبيات مما كتبه ابن جبير من الديار المصرية في رحلته الأخيرة إلى أبي محمد عبدالله البجائي ويعرف بابن الطيب وكان والياً قضاء سبتة ، وزوجته هي عاتكة المدعوة بأم المجد ، والدها الوزير الحسيب أحمد بن عبدالرحمن الوقشي ، توفيت لعشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ بعد زِمانة طاولتها عن خمسة وخمسين عاماً . انظر الذيل والتكملة ٦٠٦/٢/٥ .

(قافية الحـــاء)

(٨)

وقال في صديق له : (من الخفيف)

١ لـي صديقٌ خسِرت فيه ودادي حـين صَـارَتْ سَلامتي منه رِبحَا

٢ حَسنُ القَولِ سيِّء الفِعل كالجـ ـزَّارِ سمّى وأتبعَ القَـولَ ذَبْحـا

(٩)

وقال ينتقد المجتمع : (من الطويل)

١ إلى الله أشكو مَا تُكِنّ الجوانحُ تقاطعت الأرحامُ حتى الجَـوارِحُ

٢ فلسـتَ تَرى إلا قُلــوباً وألسُـناً مخالفـةٌ هَذي لهـذي كواشِـــحُ

٣ فللقَلْـب عقـدٌ واللّسـانُ بنُطقهِ يُخالِفُـه والفِعـلُ للكُلّ فاضِـحُ

(١٠)

وقال ينتقد المجتمع : (من السريع)

١ قـد أحـدثَ النّاس أمـوراً فـلا تَعْمـلْ بِهـا إنّـي امـرؤ ناصِـحُ

٢ فمـا جِمـاعُ الخَـيرِ الا الّــذي كـانَ عَليـه السّـلفُ الصّالــحُ

---

(٨) نفح الطيب ٢/٤٨٨ - ٤٨٩ .

(٩) رحلة العبدري : ٩٨ .

(٢) الكواشح جمع كاشح وهو الذي يضمر العداوة . وفي رحلة العبدري إشارة إلى أن البيتين من قول الحسن رضي الله عنه « ألسنٌ تصفُ ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف» .

(١٠) نفح الطيب ٢/٤٩٢ .

(قافية الدال)

(١١)

قال يمدح الصدر الخجندي ويستجيزه (*) : (من السريع)

١ يا من حَواه الدِّين في عَصرِه — صدراً يحلُّ العِلم منه فؤادْ

٢ ماذا يَرى سيدنا المُرتضى — في زائرٍ يخطبُ منه الوِدادْ

٣ لا يبتَغي منه سِوى أحرُفٍ — يعتدُّها أشرفَ ذخرٍ يُفادْ

٤ تَرسمُها أنمُلُه مثلَ ما — نمقَ زَهرَ الرَّوضِ كفُّ العِهادْ

٥ في رُقعةٍ كالصُّبحِ أهدى لها — يدَ المَعالي مِسكَ ليلِ المدادْ

٦ إجازةٌ يُورثِنيها العُلا — جائزةٌ تَبقَى وتفنى البِلادْ

٧ يَستصحِبُ الشُكرَ خَدِيمَا لها — والشُكرُ للأمجادِ أسنَى عِتَادْ

(١٢)

ومن شعره قوله في الزهد : (من مخلع البسيط)

١ ياخيرَ مَولى دَعاه عَبْدٌ — أعملَ في الباطِلِ اجتهادَهْ

٢ هَبْ لي ما قَد عَلِمتَ مني — يا عالمَ الغيب والشَّهَاده

---

(١١) نفح الطيب ٢/٣٨٢ .

(*) هو عبداللطيف بن محمد بن عبداللطيف بن محمد بن ثابت ، الخجندي ، أبو القاسم أو أبو محمد الملقب بـ : صدر الدين من أهل أصبهان . تولى الرئاسة على قاعدة آبائه ، كان فقيهاً أديباً واعظاً وله شعر جيد ، ولد سنة ٥٣٥ هـ ، ومات في جمادى الأولى ٥٨٠ هـ ، وانتهت رئاسة الشافعية إلى ابنه « محمد » الملقب بسورالدين ، وقد وصف ابن جبير مجلسين من مجالسه بالمدينة في ٧ المحرم و١٢ صفر سنة ٥٨٠ هـ ، وذكر أنه كان يعظ باللسانين ، ينظر طبقات الشافعية ٤/٢٦١ ، التكملة ٢/٥٩٨ ، وفي الرحلة : « استجزناه ، فأجازنا نثرأوشعراً ، الرحلة ١٧٩ ، وقد أجاب على أبيات ابن جبير وأجازه بقوله :

لك الله من خاطب خلتي — ومن قابس يجتدي سقط زندي

أجزت ما أجازوه لي — وما حدثوه وما صح عندي

وكاتب هذي السطور التي — تراهن عبداللطيف الخجندي

(٤) العهاد : أول مطر الوسمي .

(١٢) نفح الطيب ٢/٤٩٠ .

(٢) في العجز اقتباس من القرآن الكريم ، الحشر : ٢٢ .

(١٣)

وقـال في الحكمـة والخلق الإسـلامي وهو ينشـد أبا عـمـرو بن الشـقـر (*) بالإسكندرية : (من المنسرح)

١ تـأنَّ فـي الأمـر لا تكنْ عَجِـلاً فمـــن تأنّــى أصـــاب أو كَـادا

٢ وكُـــنْ بحبـلِ الإلـــهِ معتَصِمـــاً تأمَــنْ بــه بَغْــيَ كُـلٍّ من كـادا

٣ فكـم رَجـاهُ فنـالَ بغيتَـــه عبـدٌ مُســـيءٌ لنفســه كـــادا

٤ ومن تَطُـلْ صُحبـةُ الزمانِ لــه يلــقَ خطـوبــاً بــه وأنكـــادا

(١٤)

قال يتشوق لأهل العقيق : (من مخلع البسيط)

١ سُـكّانَ وادي العَقيــق شَـــوْقي إليكـــم فـــي البِعـــادِ زَادا

٢ ونظـــرة منكـــم المُـنى لـو أهديتموهـــا إلـــيَّ زادا

٣ عَهــدٌ لنـــا عندكـــم حَميـــدٌ يا ليتَــه بالوصـــالِ عَـــادا

٤ صَـادَقَ فيـــه الكـرَى جُفونِـي وبَعدكـمْ للجِفـــونِ عَـــادَى

---

(١٣) رحلة العبدري ٧٠ (١-٢) ، قصة يوسف ورقة ٤٣ (١-٢) منسوبين إلى السهيلي ، سير أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ (١-٤) ، الحلل السندسية ٢٦٤/١/١ .

(*) لم نهتد إلى ترجمته فيما توفر لدينا من مصادر .

(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ..﴾ آل عمران : ١٠٣ ، وفي السير : « تأمن من بغي كيد من كادا »

(٣) الرحلة (بنفسه).

(١٤) الذيل والتكملة ٦١٥/٢/٥ .

(١) العقيق : وادٍ بظاهر المدينة .

(١٥)

وقال يهجو ابن رشد(*) : (من مخلع البسيط)

١ لـم تَلـزمِ الرُّشـدَ يا بنَ رشدٍ لمـا عَـلا فـي الزَّمـانِ جَـدُّكْ

٢ وكنـتَ فـي الدِّيـنِ ذا رِيـاءٍ مـا هكـذا كـانَ فيـه جَـدُّكَ

(١٦)

وله وقد هجره محبوبه : (من السريع)

١ يا رشـأ حظِّـيَ إبعـادُهُ وحظُّ غَـيري منـه إسعـادُهُ

٢ خِبـتُ وكلٌّ نَـالَ منكَ العُلا أسعـدُ أهلِ الحبِّ أوغادُه

٣ بـي ظمـأ بـرَّحَ لكنَّه زَهَّـدَ فـي المَوردِ ورَّادُه

(١٧)

وقال (*) : (من الكامل)

١ أفقيَهَنـا المسـتنَّ دِينـاً والـذي شَهِـدتْ له بالفَضلِ منه شَواهِدُ

٢ لـو تُبصـرُ ابنَ سـعادةٍ ونديمَه قـد حَـلَّ بينَهما الغزالُ الشَارِدُ

٣ لرأيتَ من ثِقـلٍ عليـك وخِفـةٍ جَبلـينِ بينهمـا نَسـيمٌ راكـدُ

---

(١٥) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠ .

(*) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، فقيه حافظ مشهور ، شارك في علوم جمة وعرف بالطب والفلسفة ، تولى القضاء بأشبيلية ثم بقرطبة . له كتب كثيرة نكب سنة ٥٩٣هـ زمن المنصور الموحدي ، وولد سنة ٥٢٠هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ :ينظر : المعجب ٣١٤ - ٣١٦ ، ٣٨٤ - ٣٨٥، التكملة رقم ٣٧٨ ، المغرب ١/ ١٠٤ - ١٠٥ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢١ - ٣١ ، الوافي بالوفيات ١/ ١١٤ ، الديباج المذهب ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٤ .

(١٦) زاد المسافر : ١١٤ .

(١٧) زاد المسافر : ١١٤ .

(*) المرجح لدينا أن الأبيات في ابن رشد .

(٢) ابن سعادة هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن سعادة ، مرسي سكن شاطبة وبلنسية وسمع عن شيوخ زمانه ومنهم أبو الوليد بن رشد ، رحل إلى المشرق سنة ٥٢٠ هـ ، وكان مشاركاً في علوم كثيرة ، موصوفاً بها ، وقد حدث عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة ولد سنة ٤٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٦ هـ ، التكملة ٢/ ٥٠٥، نفح الطيب ٢/ ١٥٨ .

(١٨)

وقال : (من الوافر)

١ بَنِي الإسلام جِدُّوا في الجهادِ بسُمرِ الخَطِّ والبيض الحِدادِ
٢ وبِيعُوها فربُّكمُ اشتَرَاها نُفوساً تَربَحوها في المعَادِ
٣ عدوكُمُ بِعُقْركُمُ مُقيمُ ليستَولي على مُلك البِلادِ
٤ وبيتُ القُدسِ يَفرُقُ كلَّ يومٍ حِذاراً أنْ يعودَ إلى الأعادي
٥ ودينُ الله يَلحظُه - أغثنا - بجَفْنٍ قد تَكَحَّلَ بالسُهادِ
٦ فَسلُّوا المَشرفيةَ واستَقلوا بها فَوقَ المسوَّمةِ الجيادِ
٧ فليسَ يَفوزُ بالحُسنى سوى مَنْ تَدرَّعَ بالجلادةِ للجِلادِ

(١٩)

وقال في رسالة يخاطب بها شيخ الشيوخ ابن حمويه : (*) (من الطويل)

١ إلينا اقصُدوا يا معشَرَ الركبِ إننا نَرى العَارَ أن نُمسِي بغيرِ وُفودِ

---

(١٨) عقود الجمان ٦٦/٦ .
(١) سمر الخط : الرِّماح الطويلة القصبة ، المنسوبة إلى الخَطّ ، مَرفأ السفن بالبحرين (بالفتح أو الكسر) فيه تباع الرماح ، لا لأنه منبتها .

(١٩) عقود الجمان ٦٦/٦ .
(*) علي بن حمويه ، هو تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن علي بن حمويه ، مؤرخ باحث ، سافر إلى مراكش واتصل بالمنصور يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن وأقام في خدمته وخدمة ولده سبع سنوات فعاد سنة ٦٠٠ هـ ، كان مفتنياً في العلوم عارفاً بالأصلين وبالفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، وسمع الحديث ، ومن كتبه : المؤنس في أصول الأشياء ، السياسة الملوكية ، المسالك والممالك ، عطف الذيل في التاريخ ، ولد سنة ٥٧٢ هـ بدمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٢هـ ، انظر مرآة الزمان ٧٤٨/٨ ، شذرات الذهب ٢١٤/٥ ، الأعلام ١١٠/٤ ، معجم المؤلفين ٩٦/٦ .

(٢٠)

وقال في الشكوى من الزمان والحكمة : (من الطويل)

١ صَبرتُ على غَدرِ الزّمانِ وحقــده — وشَـابَ لِيَ السُّمَّ الزعـافَ بشهــده
٢ وجرَّبــتُ إخـوانَ الزّمانِ فلم أجـدْ — صَديقاً جَميلَ الغَيب في حال بُعـده
٣ وكـم صَاحـب عَاشَـرتُه وألفتُـهُ — فمـا دَامَ لي يوماً علـى حُسنِ عَهـده
٤ وكـم غرَّنـي تَحسينُ ظنّي به فلـم — يضيءْ لي على طول اقتداحي لزنده
٥ وأغربُ من عنقاءَ في الدّهر مُغرب — أخــو ثقــةٍ يسقيـكَ صَـافيَ ودِّه
٦ بِنفسـكَ صـادمْ كـل أمـر تُريدُه — فليسَ مَضـاءُ السَيـفِ الا بحـدِّه
٧ وعَزمَكَ جـرِّدْ عنـد كلِّ مُهمَّـةٍ — فمـا نَافـعٌ مكثُ الحسَام بغمـده
٨ وشَاهدتُ في الأسفار كلَّ عَجيبةٍ — فلـم أرَ مـن نـالَ جِـداً بجِـدِّه
٩ فَكُنْ ذا اقتصادٍ في أمورك كلّها — فأحسنُ أحـوالِ الفَتى حُسنُ قَصـده
١٠ وما يُحرمُ الإنسـانُ رِزقاً لعَجـزه — كما لا ينَـالُ الرِّزقَ يَومـاً بلَـدِّه
١١ حُظوظُ الفَتىَ من شقوةٍ وسَعادَةٍ — جَـرَتْ بقضـاءٍ لا سـبيـلَ لـردِّه

(٢١)

قال في ذم الفلاسفة : (من مخلع البسيط)

١ قـد ثَبَّتَ الغَـيَّ فـي العبـاد — طائفــةُ الكــونِ والفسَــاد
٢ يَلعنُهــا اللــه حيــثُ كانــتْ — فإنّهــا آفــةُ العبَــاد
٣ دَهــريةٌ لا يَــرونَ رُســلاً — ولا يُقــرّون بالمعَــاد
٤ يَعتَقِــدون الأمــور دوراً — والنّــاسَ كالــزّرع والحَصَـاد

---

(٢٠) نفح الطيب ٢/٤٩٠ - ٤٩١ .
(٥) العنقاء : الداهية ، يضرب بها المثل .

(٢١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١ .
(٤) المراد بالدور عند الفلاسفة توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف أ على ب وبالعكس أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب و ب على ج ، و ج على أ ، التعريفات ٩٤ .

(٢١)

وكتب إلى أبي عبدالله الرّصافي : (من الوافر)

١ إذا أزنى بحسن العهد بعدٌ فودي يستزيد مع البعادِ

٢ ولو أنّي تساعدني الأماني وقيتك بالطريف وبالتّلادِ

(قافية الراء)

(٢٢)

وقال : (من المتقارب)

١ صُنِ العَقلَ عن لحظة في هَوى فإنَّ البَصيرةَ طوعُ البَصَرْ

٢ وغُضَّ الجفونَ على عِفَّةٍ فإنَّ زناءَ العُيونِ النَّظَرْ

(٢٣)

وقال : (من المتقارب)

١ خَلعتَ العِذارَ بشيبِ العِذارْ فما يُقْبَلُ اليومَ منكَ اعتذارْ

٢ وقالوا المشيبُ وقارُ الفَتى وهذا المشيبُ فأينَ الوَقارْ

٣ جلا صُبْحُه عنكَ ليلَ الشّبابِ فشَمْسُك مُؤذِنَةٌ باصفرارْ

٤ أراكَ صَحِبتَ حياةَ الغُرورِ وتَسْحَبُ جَهلاً ذُيولَ اغترارْ

٥ ألستَ ترى كَدِراً صَفْوَها ونَجمَكَ قد مَال يَبغِي انكدارْ

---

(٢١) لمح السحر ٥٦ ب .

(٢٢) رحلة العبدري : ٧٠، الحلل السندسية ١/١/٢٦٤ .

(٢) عجز البيت فيه اقتباس من الحديث الشريف : « إن الله كتبَ على ابن آدم حَظَّهُ من الزِّنا أدرك لا محالة فزِنا العينين النظر .. » سنن أبي داود ١/٤٩٦ .

(٢٣) عقود الجمان ٦/٦٥ .

(٣) أول عجز البيت في الأصل « فتمسك » وهو تحريف ما أثبتناه .

٦ وكيفَ تَنامُ على غِرَّةٍ وسَيفُ المنيّةِ ماضِي الغِرارْ
٧ فلو كنتَ تَحذرُ صَرْفَ الرَّدى إذنْ لَنَفى النَّومَ عَنكَ الحِذارْ
٨ عَبرتَ مراحلَ عُمرِ الأشدّ ولستُ أرى لكَ فيها اعتبارْ
٩ وجُرتَ بها عن طَريقِ الهُدى صَلاةً وتعدو على أن تُجَارْ
١٠ أتاك الرَّحيلُ فشَمّرْ لَه فإمّا إلى جَنةِ أو النارْ
١١ وكيفَ تقَرُّ بدنياكَ عَينا ولم تَدرِ أينَ يكونَ القَرارْ

(٢٤)

وكان من أهل المروءات في حقوق الإخوان ، وفي ذلك يقول: (من الرمل)

١ يَحسبُ النّاسُ بأني متعبٌ في الشّفاعات وتكليفِ الوَرَى
٢ والذي يُتعبُهم من ذاكَ لي راحةٌ في غَيرِها لن أفكِرا
٣ وبودّي لو أقضّي العمرَ في خدمةِ الطُّلابِ حتى في الكَرى

(٢٥)

ومن وصاياه النافعة وآدابه الجامعة قوله(*) : (من الطويل)

١ من اللهِ فاسألْ كلَّ شيءٍ تُريدُه فما يَملكُ الإنسانُ نَفعاً ولا ضراً

(٢٤) نفح الطيب ٢/٤٨٨ .
(٣) خففت « أفكرا » لضرورة الوزن .
(٢٥) رحلة العبدري : ٧٠ الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٣ ، نيل الابتهاج ٢٣٥ ، نفح الطيب ٢/٤٩١- ٤٩٢ ، الحلل السندسية ١/١/٢٦٨ .
(*) قال العبدري ص ٧١ :« ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي ، قال ﷺ من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه » . وأرى هذا الحديث مبنياً على الحديث الآخر وهو قوله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .
(١) العبدري ونيل الابتهاج : « كل أمر » .

٢ ولا تتواضَعْ للوُلاةِ فإنهمْ   من الكِبرِ في حالٍ تَموجُ بهم سَكرا

٣ وإياك أن ترضى بتقبيل راحةٍ   فقد قِيل فيها إنها السَّجدة الصُغرى

(٢٦)

قال في حب النبي ﷺ وآل بيته :   (من الطويل)

١ أحبُّ النبيَّ المصطفى وابنَ عمِّه   علياً وسبطيه وفاطمةَ الزَّهرا

٢ همُ أهلُ بيتٍ أذهب الرِّجسَ عنهمُ   وأطلعَهُمْ أفقُ الهُدى أنجماً زهرا

٣ موالاتُهمْ فرضٌ على كلِّ مسلمٍ   وحبّهم أسنى الذّخائرِ للأخرى

٤ وما أنا للصَّحبِ الكِرامِ بمُبْغِضٍ   فإني أرى البَغضاءَ في حقِّهم كُفرا

٥ همُ ﴿ جاهدوا في الله حقَّ جهادِه ﴾   وهم نَصروا دِين الهُدى بالظبى نَصرا

٦ عليهمْ سلامُ الله ما دامَ ذكرُهم   لدى الملأ الأعلى وأكرِمْ به ذِكرا

(٢٧)

قال ، وقد تذكر طيبة على ساكنها الصلاة والسلام :   (من المجتث)

١ يا أهلَ طيبةَ قَلبي   عن منهجِ الصَّبرِ جَارا

٢ أشكو إليكمْ زماناً   عليَّ بالبينَ جَارا

٣ وبعدكمْ لستُ أرضى   من البَرِيَّةِ جَارا

٤ ودَمعُ عيني عليكم   لأدمُعِ المُزنِ جَارَى

---

(٢) نيل الابتهاج : « يموج » .

(٣) النفح : « قيل عنها » .

(٢٦) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٦ .

(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. ﴾ الأحزاب : ٣٣ .

(٥) الظبى ، جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان .وفي صدر البيت اقتباس من القرآن الكريم ، الحج ٧٨ .

(٢٧) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥ .

(١) جار في البيت الأول بمعنى سقط وتهدم ، وفي الثاني بمعنى ظَلَمَ وتجاوزَ ، وفي الثالث من الجيرة والجيران ، وفي الرابع من المجاراة بمعنى المراعاة .

(٢٨)

وقال وقد شارف المدينة المكرمة على ساكنها الصلاة والسلام: (*) (من المتقارب)

١	أقــول وآنسـتُ باللّيـلِ نــارا	لعـلَّ سِـراجَ الهُـدى قـد أنـارا
٢	وإلاَّ فمـا بـالُ أُفـق الدُّجــى	كـأنَ سَنَا البرقِ فيـه اسـتَطَارا
٣	ونحـنُ مـن اللّيـل في حِنـدسٍ	فمـا بَالُـه قـد تَجلـى نَهـارا
٤	وهــذا النسيمُ شَـذا المِسكِ قـد	أعـيرَ ، أم المِسكُ مِنهُ استعـارا
٥	وكانـتْ رَواحِلُـنا تَشتَكــي	وَجَاهـاً فقد سَابقَتنا ابتِـدارا
٦	وكُنّـا شَكونـا عَنـاءَ السـرى	فعُدنـا نبـاري سِراعَ المهـارى
٧	أظـنّ النُّفـوسَ قـد استَشْعرتْ	بلـوغَ هَــوى تخذتـهُ شِعـارا
٨	بَشائـرُ صُبْـحِ السُّـرى آذنـتْ	بـأنَّ الحبيـبَ تَـدانى مَـزارا
٩	جرَى ذِكـرُ طَيبـةَ مـا بَينَنــا	فـلا قَلـبَ في الركبِ إلا وطَارا
١٠	حَنينـاً إلــى أحمـدَ المُصطفى	وشَوقاً يَهيـجُ الضُّلوعَ استعارا
١١	ولاحَ لنــا أحمـدٌ مُشـــرقاً	بنـورٍ مـن الشُّهـداءِ استَنـارا
١٢	فمِـن أجـلِ ذلك ظَـلُّ الدُّجى	يَحُـلُّ عُقـودَ النُّجـومِ انتثـارا
١٣	ومِن ذلكَ التّربِ طَابَ النَّسيمُ	نشـراً وعَـمَّ الجَنابَ انتشـارا
١٤	ومـن طَـربِ الركبِ حثَّ الخُطى	إليهـا ، ونـادى البِدارَ البِـدارا

---

(٢٨) رحلة العبدري ٩٦ – ٩٨ ، الذيل والتكملة ٦٠٢/٢/٥ – ٦٠٣ ، الإحاطة ٢٣٥/٢ – ٢٣٦ عدا البيت ١٣ ، جذوة الاقتباس ٢٧٨/١ – ٢٧٩ ، نفح الطيب ٤٨٧/٢ « ١-٣» .

(*) ذكر العبدري أنه نظمها ارتجالا حين تراءت له المدينة ، وكان وصوله لها في ٣ المحرم سنة ٥٨٠ هـ ، انظر الرحلة ص ١٦٧ .

(١) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ اني آنست نارا ...﴾ طه ١٠ .

(٥) العبدري « وجا فلقد » والوجى أن يشتكي البعير باطن خفه ، والوجاء : العدول الصغار ، والابتدار : الإسراع والمعاجلة .

(٨) العبدري : « تباشير » .

(١٤) العبدري :« طرب الشرب ». والبدار كالمبادرة والابتدار ، والإسراع والاستباق .

(١٥) الإحاطة :« بأكرم مجدٍ » .

١٥ ولما حَلَلْنا فِناءَ الرّسولِ نَزلنا بأكرمِ خَلْقٍ جِوارا
١٦ وحينَ دَنونَا لفَرض السّلامِ قَصَرْنا الخُطا ولَزِمنا الوقارا
١٧ فما نُرسلُ اللحظَ إلاّ اختلاسا ولا نَرفَعُ الطّرفَ إلا انكسَارا
١٨ ولا نُظهِرُ الوَجدَ إلا اكتتاماً ولا نلفِظُ القَولَ إلا سِرارا
١٩ سوى أننا لم نُطِقْ أعيُناً بأدمُعِها غَلبَتنَا انفِجارا
٢٠ وقَفنا بروضتِهِ للسّلامِ نُعيدُ السّلامَ عليه مِرارا
٢١ ولولا مَهابتُه في النُّفوس لَثِمنا الثّرى والتَزمنَا الجِدارا
٢٢ قَضينَا بزَورتنا حجَّنا وبالعُمُرين خَتمنَا اعتِمَارا
٢٣ إليكَ إليكَ نبيَّ الهُدى ركبتُ البحار وجبتُ القِفارا
٢٤ وفارقتُ أهلي ولا منّةٌ وربَّ كلامٍ يَجرُّ اعتِذارا
٢٥ وكيفَ نمُنُّ على من بِهِ نُؤمِّل للسّيئاتِ اغتِفارا
٢٦ دعاني إليكَ هوى كامِنٌ أثارَ من الشّوقِ ما قد أثارا
٢٧ فنَاديتُ لبّيكَ داعي الهَوى وما كنتُ عنكَ أطيقُ اصطِبَارا
٢٨ ووطّنتُ نفسي لحكمِ الهَوى عليَّ وقُلتُ رَضِيتُ اختِيارا

---

(١٧) الإحاطة :« ولا نرجع الطرف » .
(١٨) السرار والسرارة – بفتح السين – : السر ، وهو جوف كل شيء .
(٢٠) الإحاطة : « وقفنا بروضة دار السلام » .
(٢١) العبدري :« ولزمنا » .
(٢٢) العبدري :« بعمرتنا حجنا ، وبالعمرتين » وفيه تحريف . الإحاطة : « بزوته حَجّنا، وبالعمرتين » ، وفيه تحريف أيضاً .
(٢٥) العبدري :« يمن » .
(٢٧) الإحاطة :« فناديتك لبيك »، وبها يكسر الوزن . العبدري :« وهل كنت».
(٢٨) العبدري : « بحكم الهوى »

٢٩ أخوضُ الدُّجى وأروضُ السُّرى | ولا أطعمُ النّومَ إلا غِرارا
٣٠ ولو كنتُ لا أستطيعُ السَّبيلَ | لَطِرتُ ولو لم أصادفْ مَطَارا
٣١ وأجدرُ من نَالَ منكَ الرِّضا | مُحبٌّ ذُراكَ على البُعدِ زَارا
٣٢ عَسى لَحظةٌ منك لي في غدٍ | تُمهِّد لي في الجِنانِ القَرارا
٣٣ فما ضَلَّ من بهُداك اهتَدَى | ولا ذَلَّ من بِذراكَ استَجارا

(٢٩)

وقال ، وهو في زيارة قبره (ﷺ): (من المتقارب)

١ هَنيئاً لمن حجَّ بيتِ الهُدى | وحَطَّ عن النَّفسِ أوزَارَها
٢ وإنَّ السَّعادةَ مضمونَةٌ | لمن حَلَّ طيبةَ أو زارَها

---

(٢٩) العبدري : « نطعم ».
(٣٠) العبدري : سقطت « لطرت » وفيه « ولما أصادف » .
(٣١) العبدري : « نحب ثواك »، وهوتحريف . الإحاطة : « محب سراك ».
(٣٢) الإحاطة : « من بمسراك اعتدى »، واستجار : طلب المعونة ودَفع الظُّلم.

(٢٩) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤ ، الإحاطة ٢/٢٣٦ -٢٣٧ ، جذوة الاقتباس ١/٢٨٠ ، نفح الطيب ٢/٤٩٣ . قال شكيب أرسلان في الحلل السندسية ٣/١٢٠ :« هذا الجناس المركب قد ورد أيضاً في شعر آخر ، فقد قيل في قبر محيي الدين بن عربي في صالحية الشام :

قَبرُ مُحيى الدِّين بن عربي | كل من لاذ به أو زاره
قُضيتْ حاجاتُه من بَعدما | غفرَ اللّه له أو زاره

(٢) الإحاطة والنفح :« حج طيبة » .

(٣٠)

وقال في الولاة وأحوالهم : (من السريع)

١ من كـبُرتْ عـن قـدره خُطـةٌ داخَلَـهُ مـن أجلهـا الكـبْرُ

٢ ومـن سَمَتْ همتّـه لـم يَكُـن لخطـةٍ فـي نفسـه قَـدْرُ

٣ ولايـةُ الإنسـانِ سَـكرٌ فَمـا دامَـتْ لـه دام بـه السُّكرُ

٤ مغـايظ الدُّنيـا وأربابهـا ليـسَ عليها لامـرىءٍ صبْرُ

٥ دعهـم مـع الـدهر وأحـداثه حتى ترى مـا يصنـع الدَّهـرُ

(٣١)

وقال في الشكوى من الدهر : (من مجزوء الوافر)

١ أمـا فـي الدَّهـر معتَـبرُ ففيـهِ الصَّفـو والكَـدَرُ

٢ فسَلـني عـن تَقلُّبـه فعنـدَ جُهينـةَ الخـبرُ

٣ صحبنـاهُ إلـى أجـلٍ نُراقبـه ونَحـتَذِرُ

٤ فيـا عَجبـا لمرتحـلٍ ولا يـدري مـتى السَّـفرُ

---

(٣٠) الذيل والتكملة : ٥/٢/٦١٣ .

(٤) الغيظ : الغضب ، أو أشده ، أو سورته ، والمغايظ : ما يدعو الرجل للغيظ .

(٣١) رحلة العبدري ٩٨ .

(٢) في عجز البيت تضمين من المثل المشهور : « وعند جهينة الخبر اليقين » مجمع الأمثال ٢/٣ .

(٣٢)

وقال يخاطب الرصافي البلنسي : (من الطويل)

١ يَعَــزُّ علينــا أن يُقصَّــر بالعُــلا زمــانٌ ومـا زالَ الزمــانُ يقصِّرُ

٢ عَجبتُ لدَهرٍ غَضَّ منك شَفَاهـةً لقـد غَضَّ من طَرْفٍ به كانَ ينظرُ

(٣٣)

وقال في ذم الفلاسفة : (من السريع)

١ قـد ظهـرتْ فـي عَصرنا فرقـةٌ ظهــورُها شــؤمٌ علـى العَصـرِ

٢ لا تَقْتــدي فـي الـدِّين إلا بِمـا سَـنَّ ابـنُ سِــينا وأبو نَصْــرِ

(٣٤)

وقال في النقد الإجتماعي وذم الزمان : (من المديد)

١ ربِّ إن لــمْ تؤتــني سَـعَــةً فاطــوِ عــنّي فَضلــةَ العُمرِ

٢ لا أحــبُّ اللبــثَ فــي زَمَــنٍ حاجــتي فيــه إلــى البَشــرِ

٣ فهُــمُ كَســرٌ لمنجَــبر مــا هـــمُ جَــبرٌ لمنكسـرِ

---

(٣٢) السحر والشعر ٣٩٨ « باب الحكم والجد » ، لمح السحر ٥٥ أ .

(٣٣) نفح الطيب ٣٨٥/٢ .

(٢) يريد الفيلسوفين المشهورين ، ابن سينا وأبا نصر الفارابي .

(٣٤) نفح الطيب ٤٩٢/٢ .

(٣٥)

قال في الصوت الحسن وسماعه : (من الطويل)

١ زيادةُ حسنِ الصّوت في الخلقِ زينة يـروقُ بها لحنُ القَريضِ المحــبَّرِ
٢ ومـن لم يحركهُ السَّمــاع بِطيبـةٍ فذلك أعمى القَلب أعمى التَّصورِ
٣ تُصيخُ إلى الحادي الجِمـالُ لواغباً فتوضــع فـي بيدائها غيرَ حُسَّــرِ
٤ ولله فـي الأرواحِ عنـد ارتياحِهـا إلى اللَّحنِ سرٌ للورى غـيرُ مُظهـرِ
٥ وكـلّ امـرىءٍ عابَ السَّماع فإنـه من الجهل في عشوائـه غير مبصر
٦ وأهـلُ الحِجـا أهلُ الحجاز وكلُّهـم رَأوهُ مُباحـاً عندهم غيرَ منكــرِ
٧ وهـامَ بـه أهـلُ التصــوف رغبــةً لتهييــج شــوقٍ نَــارهُ لـم تُسـعَّرِ
٨ فـإنَّ رَسـولَ الله قــد قــال زَيِّنـوا بأصــواتِكمْ آيَ الكتــابِ المطهَّــرِ
٩ وزانتْ لــداودَ النَّبــيِّ زبــورهُ مزامـرُه بالنــوح فـي كلِّ محضَـرِ
١٠ وفي الخلدِ إسرافيلُ يُسـمِعُ أهلَـه فيسليهـمُ المسموعُ عن كـلِّ منظـرِ
١١ فإنْ أكُ مغرى بالسَّمـاع وحسنِــه فحسبي اقتداءً بالكريمِ ابن جَعفـرِ

(٣٦)

وقال : (من الوافر)

١ أراكَ مـن الحياةِ علـى اغــترارِ ومـا لكَ بالإنابـــة مـــن بِـدارِ
٢ وتَطمع في البقاءِ وكيفَ تَبقى ؟ ومــا الدُّنيــا لســاكِنها بِــدارِ

---

(٣٥) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥ - ٦١٦ .

(١١) الأبيات تشير إلى مذهب ابن جبير في إباحة الغنـاء وبعض حججه في ذلك إباحة أهل الحجاز له ، وابن جعفر هو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب أول من ولد من المسلمين بأرض الحبشة عاش في البصرة والكوفة والشام سمي ببحر الجود لكرمه واتصل به الشاعر ابن قيس الرقيات وانقطع له وكان عبدالله يصله ولا يقضي عنه دينه ، ولم ير بسماع الغناء بأساً ، واجتمع عنده عدد من المغنين منهم : طويس وسائب ونشيط وبديح .. انظر فوات الوفيات ١/ ١٧٠ تاريخ الموسيقى العربية (فارمر) ٦٢-٦٩ ، وأخباره في الأغاني والعقد الفريد والكامل .

(٣٦) عقود الجمان ٦/٦٤ .

(١) البدار- بكسر الباء : المعاجلة والاستباق .

(٣٧)

قال يكشف عن خلقه الكريم : (من المتقارب)

١ وإنـي لأوثـرُ مـن أصطفـي وأغضـي علـى زلّـة العاثـرِ

٢ وأهـوى الزّيـارةَ ممـنْ أحـبُّ لأعتقـدَ الفَضـلَ للزائـرِ

(٣٨)

وقال يمدح صلاح الدين الأيوبي[*] : (من المتقارب)

١ أطلّـتْ علـى أفقـك الزّاهـرِ سَعـودٌ مـن الفَـلكِ الدّائـرِ

٢ فأبشـرْ فـإنّ رقـابَ العِـدا تُمَـدّ إلـى سَيفـكِ الباتـرِ

٣ وعمـا قليـلٍ يحـلّ الـرّدى بكندهـمِ الناكـثِ الغَـادرِ

٤ وخصبُ الوَرى يومَ تسقي الثّرى سحائـبُ من دَمهـا الهامـرِ

٥ فكـم لكَ مـن فتكـةٍ فيهـمُ حكّـتْ فتكـةَ الأسـدِ الخـادرِ

---

(٣٧) إفادة النّصيح ١٠٨ ، نفح الطيب ٢/ ٩٠ ، علق ابن رشيد السبتي في إفادة النصيح على البيت الأول فقال : كان الأخف أن يقول : وأغمض أو أصفح ، لثقل الضم في حرف العلة ، لأن رواية البيت عنده « وأغضي عن » ، وفيها خلل عروضي .

(٣٨) الروضتين ٢/١٠٥ - ١٠٦ «١، ٢، ٥ - ٢٤ » ٢/ ٤/٢ - ٥ «٢٥ - ٥٦ ». رحلة العبدري : ٩٤ - ٩٦ « ١ - ٢٥ ، ٢٨- ٥٦ ». الذيل والتكملة ٥/٢/٥٩٨ - ٦٠١ « ١- ٢٥ ، ٢٨- ٥٦ » نفح الطيب ٢/٣٨٣ « ١، ٢٥ - ٢٨ » .

(*) في البيتين ١٩ و ٢٠ إشارة إلى أن القصيدة نظمت بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ، أي بعد رحلته الثانية سنة ٥٨٥ هـ حيث يتوجه إلى صلاح الدين مهنئاً ، وفيها إشارة إلى رفع صلاح الدين المكوس عن الحجاج الذاهبين إلى الحجاز ، أرخ ذلك أبو شامة المقدسي بسنة ٥٧٢ هـ (الروضتين ٢/ ٤) ، وقد نال الحجاج أذى من رجال الأمن في الإسكندرية ، ولذلك يورد العبدري وأبو عبدالملك المراكشي القصيدة على أنها مما قاله في الإسكندرية (ذي الحجة ٥٧٨ هـ) . تنظر الرحلة ١٣ - ١٤ ، ومقدمة د. محمد مصطفى زيادة ، الرحلة ١٧ ، و« الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ٧٤» .

(٣) الكُند - بضم فسكون فكسر- كلمة إسبانية (conde)أصلها في اللاتينية (comes) والتيَ عرفت كذلك عند عرب الأندلس بلفظة قومس وهو لقب شرف عند النصارى ورتبة لرؤساء الجيوش من الأمراء ، والكند اليوم في المراتب الشريفة يأتي بعد المركيز وقبل البارون (رحلة العبدري ٩٤ هامش ١) .

(٥) الروضتين :« وكم » .

٦ كسَرتَ صَليبهمُ عنْوةً	فللّه دركُ من كاسِرِ
٧ وغيَّرتَ آثارَهم كلَّها	فليسَ لها الدّهر من جابرِ
٨ وأمضيتَ جَدكَ في غزوهمْ	فتَعساً لجدّهم العَاثرِ
٩ فأدبرَ ملكهمْ بالشّآم	وولّى كأمسهمِ الدّابرِ
١٠ جنودُك بالرُّعب منصورةٌ	فناجِزْ متى شئتَ أو صابرِ
١١ فكلهم غارقٌ هالكٌ	بتيارِ عسكركَ الزّاخرِ
١٢ ثأرتَ لدينِ الهُدى في العدا	فآثركَ الله من ثائرِ
١٣ وقمتَ بنصرِ إله الورَى	فسمّاكَ بالمَلك النّاصرِ
١٤ وجاهدتَ مجتهداً صَابراً	فلله دركُ من صَابرِ
١٥ تبيتُ الملوكُ على فَرشِها	وترفلُ في الزَّرَد السّابري
١٦ وتؤثرُ جاهدَ عيشِ الجهادِ	على طيبِ عَيشهمِ النّاضرِ
١٧ وتُسهرُ جفنَك في حَقٍّ من	سَيرضيك في جَفنك السّاهرِ
١٨ فتحتَ المقدّسَ من أرضهِ	فعادَتْ الى وصفِها الطّاهرِ
١٩ وجُبتَ إلى قُدسهِ المُرتضى	فخلّصتَه من يدِ الكَافرِ
٢٠ وأعليتَ فيه منارَ الهُدى	وأحييتَ من رَسمه الدّاثرِ
٢١ لكمْ ذَخَر الله هذي الفُتوحَ	من الزّمن الأول الغَابرِ
٢٢ وخصكَ من بعدِ ما زرته	بها لاصطِناعك في الآخرِ

---

(٩) الروضتين :« وأدبر» .

(١٠) العبدري :« فنَاجز » ، وهو تصحيف ، والمناجزة : المقاتلة .وفي صدر البيت اقتباس من الحديث الشريف ونصه : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونُصرت بالرّعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » صحيح مسلم ١/٣٧١ .

(١١) الروضتين والذيل :« غرق » .

(١٤) الروضتين :« فلله أجرك» .

(١٥) الذيل :« السابر » .

٢٣ مَحبَّتكمْ ألقيتْ في النُّفوس — بذكرٍ لكم في الوَرى طائرِ
٢٤ فكمْ عند ذكرِ الملوكِ لهم — بمثلك من مَثَل سائرِ
٢٥ رفعتَ مغارمَ أهلِ الحجازِ — بإنعامكَ الشّامل الهَامرِ
٢٦ وأمّنت أكنافَ تلك البلاد — فهان السَّبيل على العابرِ
٢٧ وسحبُ أياديكَ فيّاضة — على واردٍ وعلى صَادر
٢٨ فكم لك بالشرقِ من حَامدٍ — وكم لك بالغَربِ من شاكرِ
٢٩ وكم بالدُّعاء لكم كلَّ عامٍ — بمكّةَ من مُعلِنٍ جَاهرِ
٣٠ وكم بقيتْ حَسبةٌ في الظُّلوم — وتلك الذُّخيرةُ للذّاخرِ
٣١ يعنِّف حجاجَ بيتِ الإله — ويَسطو بهم سَطوةَ الجائرِ
٣٢ ويكشِف عما بأيديهمُ — وناهيكَ عن مَوقف صَاغرِ
٣٣ وقد أوقفوا بعدما كُوشِفوا — كأنهمُ في يدِ الآسرِ
٣٤ ويلزمهمْ حلفاً باطلاً — وعقُبى اليمين على الفاجرِ
٣٥ وإن عرضت بينهم حُرْمَةٌ — فليس لها عنه من ساتر
٣٦ أليسَ يخاف غداً عَرضَهُ — على الملك القادر القَاهر
٣٧ وليسَ على حُرَمِ المسلمين — بتلك المشاهدِ من غائرِ
٣٨ ولا حاضرٌ نافعٌ زجرُه — فيا ذلة الحاضرِ الزاجرِ
٣٩ ألا ناصحٌ مبلغٌ نصحَه — إلى الملك الناصر الظافرِ
٤٠ ظلوم تضمن مال الزكاة — لقد تَعِستْ صفقةُ الخاسرِ

---

(٢٤) الذيل :« فكم لهم عند ذكر الملوك » ، الروضتين : « لمثلك » .
(٢٥) الروضتين والنفح :« مكس الحجاز » .
(٣٠) الروضتين :« وقد بقيت .. في فلان » .
(٣٣) الذيل « وقفوا » ، الروضتين :« وقفوا بعدما كوشفوا » .
(٣٧) الروضتين :« أليس ... من غابر» .
(٣٨) الروضتين :« ألا فيا ذلة الشاهد الحاضر » .

٤١ يُســرّ الخيـانةَ فـــي باطـــن ... ويُبـدي النصيحـة فـي الظاهرِ
٤٢ فأوقـعْ بـــه حَـادثاً أنـــه ... يقبّـــح أحـدوثـة الذاكـــرِ
٤٣ فمـــا للمَنـاكِرِ مـــن زاجـــرِ ... ســـواك وبالعـرفِ مـن آمـرِ
٤٤ وحاشـــاك إن لـم تُـزِل رسمَها ... فما بالك في النّاس من غَادرِ
٤٥ ورفعـــك أمثالهـــا موسِـــع ... رداءَ فخــــارِك للناشـــــرِ
٤٦ وآثارُك الغـــرّ تبقـــى بهـــا ... وتلـك المآثــــر للآثــــــرِ
٤٧ نـذرتُ النّصيحـة فـي حقّكم ... وحـقّ الـوفـاء على النّـــاذرِ
٤٨ وحبُّـك أنطقَنـــي بالقريـــضِ ... ومـــا أبتَــغي صِلَـة الشّاعرِ
٤٩ ولا كانَ في ما مضى مكسَبي ... وبئسَ البِضـاعـةُ للتّـــاجِـرِ
٥٠ إذا الشّـعر صـــارَ شِعار الفَتى ... فَناهيـــك مـــن لقـبِ شاهِـــرِ
٥١ وإن كـــان نَظمِـــي لـــه نَـادراً ... فقــد قيـــل : لا حكـمَ للنـــادرِ
٥٢ ولكنّهـــا خطـــرات الهَـــوى ... تَعِـــنُّ فتلعَـــبُ بالخـاطـــــرِ
٥٣ وأمـــا وقـــد زارَ تلـــك العـــلا ... فقـــد فـازَ بالشّـرف البَاهـــرِ
٥٤ وإن كـــانَ منـــك قبـــولٌ لـــه ... فتلــك الكـــرامـــةُ للزّائـــرِ
٥٥ ويكفيـــه ســـمعكَ مـن سامعٍ ... ويكفيــه لحظـكَ مـــن ناظِـــرِ
٥٦ ويزُهى على الرّوضِ غبُّ الحيا ... بمـا حَـــازَ من ذِكـرِكَ العَاطِـــر

(٤١) الذيل :« في ظاهر » .
(٤٣) الروضتين :« فما للمناكير» .
(٤٤) الروضتين :« فمالك» .
(٥٢) الذيل : « تعن فتغلب للخاطر » .
(٥٥) العبدري : سقطت « سمعك » ، وأول العجز « ويكفيك لحظك » .

(قافية السين)

(٣٩)

وقال في المتكبر: (من الخفيف)

١ أيُّهــا المُستطيــلُ بالبَغي أقصِر ربَّمــا طَأطَـأ الزَّمـان الرُّؤوسـا

٢ وتذكَّـرْ قــولَ الإلــه تَعــالى : ﴿ إنَّ قَارونَ كانَ من قَومِ مُوسى ﴾

(٤٠)

قال في حبيبه وقد جلس بين ثقيلين : (من الكامل)

١ لـو كنـتَ تبصر منــذ يومٍ قد نَأى تَيسَــين ضَمَّهمــا وظبياً مجلسُ

٢ لعَجبـتَ قُبحـاً مِنهمـا ومَلاحــة منـه وقلـت حظـيرة أم مِكنَسُ؟

(٤١)

وقال وقد لاحت له جبال دانية على ظهر البحر وهو قافل من رحلته الأولى سنة ٥٨١هـ : (من البسيط)

١ لي نحو أرض المنى من شرقِ أندلسِ شَـوق يؤلِـفُ بين المـاءِ والقبَـسِ

٢ لاحت لنا من ذُراها الشُمّ شــاهقـة تُدني لزَهـر الدّراري كَفَّ ملتَمِسِ

---

(٣٩) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٤٩٢/٢ وانظر هامش (١) حيث يذكر المحقق أن بعض نسخ النفح تنسبها له . الحلل السندسية١/١/٢٦٩ .

(١) في العجز اقتباس من القرآن الكريم سورة القصص ٧٧ .

(٤٠) زاد المسافر ١١٤ .

(١) التيس : الذكر في المعز .

(٢) المكنس : موضع الظبي في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٤١) الذيل والتكـملة ٦٠٤/٢/٥ - ٦٠٥ « ١ -١١» ، نفـح الطيب ٤٨٩/٢ « ١» ، لمح السحر ورقة ٤٠ أ « ٨ - ١١» .

(١) القبس : شعلة من النار .

٣ وقد أغذّت بنا فـي اليمّ جاريـــةٌ سَوداءُ لاتستطيعُ الجَري في يَبَسِ

٤ كأنّهـا وعبـابُ المـاء يزعِجُهـــا تنصّ جيدَ مراعي اللحظ مختلِسِ

٥ كـأنّ بيضَ نَواحيهـا إذا انتَشَـرت لواءُ صُبـح بدا في سدفـة الغَلَـسِ

٦ تَنازعُ الرِّيحُ منهـا صَعبَ مقوَدهـا فتَرتمـي بِعنـانٍ مُسمحٍ سَلِسِ

٧ لـولا حذاري أن أذكـي لهـا لَهَبـا زَجّيتها بريـاحِ الشّـوق في نفـسِ

٨ يا ليـت شِعـريَ والآمـالُ معْـوزةٌ وربّمـا أمكنـتْ يومـاً لمختلـسِ

٩ هـل يَدنـونَ مـزارُ الشّـوقِ إنّ بـه مـا شئتَ من نُهـزٍ للأنـس أو خَلَسِ

١٠ وهـل تعودنّ أيـامٌ رشفـتُ بهـــا سُلافةَ العيش أحلى من جَنَى اللّعسِ

١١ حيث انبسطنا مـع اللّذات تَنقلنـا أيدي المسراتِ من عيـد إلى عرُسِ

(قافية العين)

(٤٢)

وقال يخاطب أبا عمران الزاهر (*) بإشبيلية : (من الوافر)

١ أبا عِمْـرانَ قـد خَلّفتُ قلبـي لَديـكَ وأنـت أهـلٌ للوديعـةْ

٢ صَحبتُ بِـكَ الزّمانَ أخا وفـاءٍ فهـا هـو قَدْ تَنَمـر للقطيعـةْ

---

(٥) السدفة : الظلمة ، وهي من الأضداد . والغلس : ظلمة آخر الليل .

(٧) زجى وأزجى بمعنى ساق ودفع .

(٩) اللمح : « مزار الشرف » .

(١٠) السلاف : ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر والخمر وسلافة كل شيء عصرته وأوله ، واللعس : لون الشفة تضرب إلى السواد ، وهو يستملح .

(١١) اللمح : « مع الأيام » .

(٤٢) نفح الطيب ٤٨٧/٢ - ٤٨٨ .

(*) أبو عمران موسى بن عمران المارتلي ، و(مارتلة) من حصون باجة ، كان ورعاً زاهداً عابداً له حظ وافر في شعر الزهد ، لازم مسجده بإشبيلية سنة ٦٠٤ هـ (التكملة ٧٥٤/٢ المغرب ٤٠٦/١ ، الغصون اليانعة ١٣٥) .

(٤٣)

قال يهجو الدهريين : (من مخلع البسيط)

١ ضلّتْ بأفعالهـــا الشّنيعــةْ طائفــةٌ عــن هُــدى الشّريعــةْ

٢ ليســت تــرى فاعِــلاً حكيماً يفعــلُ شيئاً سوى الطّبيعةْ

(٤٤)

وقال في الزهد : (من البسيط)

١ عجبتُ للمرء فــي دُنيــاهُ تطمعهُ في العَيشِ والأجلُ المحتومُ يَقطعُهُ

٢ يُمسـي ويُصبحُ في عَشواءَ يخبِطها أعمى البَصـيرةِ والآمـالُ تَزرَعُـهُ

٣ يَغـترُّ بالدّهـرِ مَســروراً بصُحبتِـه وقــد تيقّــنَ أنَ الدّهــرَ يَصْرَعُـهُ

٤ ويجمـعُ المـالَ حِرصــاً لا يُفارِقُـه وقـد دَرى أنّــه للغَـيرِ يجمعُــهُ

٥ تــراهُ يُشفـق مـن تَضييـع دِرهمــه وليـسَ يشفِـق من دينٍ يُضيّعـه

٦ وأســوأ الناسِ تدبــيراً لعاقِبَـــةٍ من أنفقَ العمر فيما ليس ينفعـه

(٤٥)

وقال وهو يودع أهله : (من الطويل)

١ أقـول وقد حانَ الوداع وأسلمتْ قُلوبٌ إلى حكم الأسى ومدامــعُ

٢ أيـا رَبُّ أهلي في يديك وديعـةٌ وما عدمتْ صَوناً لديك الودائــعُ

---

(٤٣) نفح الطيب ٢/٣٨٥ .
(٤٤) نفح الطيب ٢/٤٩٠ .
(٤٥) نفح الطيب ٢/٤٨٥ .

(٤٦)

وقال يهجو ابن رشد (*) : (من السريع)

١ الحمد لله على نصرِهِ لفرقةِ الحقِّ وأشياعِهِ
٢ كان ابنُ رشدٍ في مَدى غيِّه قد وضَعَ الدِّينَ بأوضاعِهِ
٣ حتى إذا أوضعَ في طُرْقِه توًى لغيٍّ عندَ إيضاعِهِ
٤ فالحمدُ لله على أخذِهِ وأخذِ مَن كانَ من أتباعِهِ

(قافية الفاء)

(٤٧)

وقال في نكبة ابن رشد : (من مخلع البسيط)

١ الآن قد أيقنَ ابنُ رُشدِ أنَّ تواليفَه تَوالفْ
٢ يا ظالماً نفسَه : تأمَّلْ هَل تَجِد اليومَ مَن يوالِفْ؟

(٤٨)

كتب رسالة إلى ابن حمويه (*) من الإسكندرية متشوقاً ، شافعاً صدرها

---

(٤٦) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠ .
(*) تقدمت ترجمة ابن رشد ، انظر هامش ق ١٢ .
(٢) وضع الرجل في تجارته : صار وضيعاً ، ووضع عنه : حطَّ من قدره .
(٣) أوضع بين القوم : أفسد . الوضع ضرب من سير الإبل دون الشدة ، ووضع البعير إذا عدا ، والإيضاع سير مثل الخبب ، يقال : « قد أوضعت منذ ساعة » يضرب لمن يستبطئ قضاء حاجته ولم تبطؤ بعد . التوى - مقصور - :الهلاك وهلاك المال .
(٤٧) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠ .
(٤٨) عقود الجمان ٦/ ٦٧ .
(*) تنظر ترجمته في هامش ق ١٩ .

بهذه الأبيات : (من الطويل)

١ سلامٌ كأزهارِ الربيع نَضارةً ... وحُسناً على شيخ الشَيوخ الذي صَفَا
٢ ولو لم يَعُقني العُذرُ عن قَصدِ ربعه ... سَعيتُ كما يَسعى الملبِّي إلى الصَّفا
٣ ولكن عَدَاني عنه دَهرٌ مكدِّرٌ ... ومن ذا الذي واتَاه في دَهرِهِ الصَّفا

(٤٩)

وقال يهجو الفلاسفة : (من السريع)

١ يا وحشةَ الإسلام من فرقةٍ ... شاغلةٍ أنفسها بالسَّفَهْ
٢ قد نبذَتْ دينَ الهُدى خلفَها ... وادَّعتْ الحكمةَ والفلسفَهْ

(٥٠)

وقال يصف القلم من قصيدة : (من الكامل)

١ قلم به الإقليمُ أصبح في حمى ... بشباته[1] صرفُ الحوادث يُصرَفُ
٢ ولئن تقاصرَ قدُّه فلقدِّه ... ظلّت له الأسلُ الطِّوال تقصَّفُ
٣ هل تغنينَّ المرهفاتُ غناءه ... وصليلها لصريره يُستضعفُ
٤ حَكَت الظُّبا والسمرَ فعلا منه لو ... لاه لعُطِّلَ صارمٌ ومُثقَّفُ
٥ طعنٌ كمثلِ النُّقط منضافٌ إلى ... ضَربٍ كما شُكلَتْ بنقطٍ أحرفُ
٦ كلٌ يتيهُ بأنْ حوى شبهاً له ... فانظرْ إلى المحكيِّ فهو الأشرفُ
٧ يكفيهِ فخراً أنّ كلَّ مقدَّرٍ ... يَجري بما قد خَطَّه ويصرِّفُ

---

(٤٩) نفح الطيب ٢/٣٨٥ .

(٥٠) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠ .

(١) شباة كل شيء حد طرفه .

(قافية القاف)

(٥١)

قال يمدح المنصور ويعرض بابن رشد : (من مخلع البسيط)

١ خليفةُ اللـــه أنـــتَ حقـــاً فــارِقْ مــن السَّعد خيرَ مَرقِى

٢ حميتمُ الـــدِّين من عِــداهُ وكــلٌ مـــن رامَ فيـــهِ فَتــقَا

٣ أطلعــكَ اللـه ســـرٌ قـــومٍ شقُّــوا العَصــا بالنِّفــاق شَقًّا

٤ تَفَلْســفوا وادَّعــوا علــوماً صاحِبُهــا فــي المعــادِ يَشقى

٥ واحتَقَــروا الشَّـــرعَ وازدَروه ســفاهــةً منهـمُ وحُمْقَـــا

٦ أوسعتَهــم لعنــةً وخـــزياً وقلــتَ : بُعـداً لهــم وسُحْقَا

٧ فابــقَ لــدينِ الإلــه كهفـــاً فإنـــه مــا بَقِيـــتَ يَبقـــى

(٥٢)

وقال في الحكمة : (من الطويل)

١ عليكَ بكتمانِ المصــائبِ واصطَبِرْ عليهــا فمــا أبقَى الزَّمــانُ شَفيقــا

٢ كفاكَ من الشَّكوى إلى الناس أنَها تســرُّ عَدواً أو تَســوء صديقـــا

---

(٥١) الذيل والتكملة ٦/ ٣١ .

(٥٢) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٦١٢ -٦١٣ ، الإحــاطة ٢/ ٢٣٧، جنة الرضــا ١/ ٢٢٢ ، جــذوة الاقتباس ١/ ٢٨٠« ١-٢»

(٢) الإحاطة « كفاك بالشكوى » ، وبها يكسـر البيت ، وفيـها: « أو تسيء » ، الجذوة : « كـفى بك بالشكوى » . الذيل : « أنه تسر » .. وفي جنة الرضـا « أنه يَسـرُّ ..أو يَسوء »

(٥٣)

وقال يهجو الفلاسفة : (من الكامل)

١ نفذَ القضاءُ بأخي ممَوِّهٍ متفلسفٍ في دينه متزندقِ

٢ بالمنطقِ اشتغلوا فقيل : حقيقةٌ « إنَّ البلاءَ موكلٌ بالمنطقِ »

(٥٤)

وقال : (من البسيط)

١ وصَعدةٍ لَبِستْ سربال مشتهرٍ بالحبِّ منغمسٍ في السُّهْدِ والأرقِ

٢ ما زالَ يطعنُ صدرَ الليل لهْذمها حتى غَدا سائلاً منه دمُ الشَّفقِ

(٥٥)

قال في تفضيل المشرق على المغرب : (من الكامل)

١ لا يَستوي شَرقُ البلادِ وغربُها الشّرقُ حازَ الفَضلَ باسترقاقِ

٢ انظر لحالِ الشَّمسِ عند طلوعِها زهراءَ تَصْحَبُ بَهجةَ الاشراقِ

٣ وانظُر لها عندَ الغُروب كئيبةً صفراءَ تَعقُبُ ظلمةَ الآفاقِ

٤ وكفى بيومِ طُلوعها من غَربِها أن تُؤذَنَ الدنيا بوشكِ فراقِ

---

(٥٣) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠ .

(١) الأصل : « مرمه »، وما أثبتناه جاء في بعض النسخ من الأصل .

(٢) عجز البيت من الأمثال . قائله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في اللسان يجر على صاحبه ما لا يشتهي ، وأصل المثل « إن لكل طامّة طامة وان البلاء موكل بالمنطق »، مجمع الأمثال ١/ ١٧ - ١٨ .

(٥٤) السحر والشعر ٢٨٠ « باب الوصف » .

(٥٥) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦١٠ - ٦١١ ، عنوان الدراية : ١٠٥ ، الإحاطة ٢/ ٢٣٧ .

(١) الإحاطة :« باستحقاق »، وهو أبلغ .

(٢) الإحاطة :« انظر إلى جمال الشمس ، وبها يكسر البيت ، ورواية البيت في عنوان الدراية :

فانظر لحسن الشمس عند طلوعها بيضاء تسحب بردة الإشراق

(٣) الإحاطة :« وانظر إليها عند الغروب » ، وبها يكسر البيت .

(٤) الإحاطة :« بعزم فراق » .

(قافية اللام)

(٥٦)

ويقول (*): (من المتقارب)

١ أخــلاءُ هــذا الزمــانِ الخــؤونِ   توالــتْ عليهــم صُــروفُ العِــلل

٢ تغــيَّرَ إخوانُ (**) هذا الزَّمـان   وكـلُّ صـديقٍ عَــراهُ الخَــلَلْ

٣ وكانــوا قَديمــاً على صحَّــةٍ   فقد داخَلَتهُــمْ حُــروفُ العــلَلْ

٤ قَضيــتُ التَّعجــبَ مــن أمرِهــم   فصِــرتُ أطالِــعُ بــابَ البــدَلْ

(٥٧)

وقال يتشوق لأرض الحجاز وقبر النبي ﷺ: (من المتقارب)

١ إذا بلـغَ المـرءُ أرضَ الحجــازِ   فقــد نَــالَ أفضــلَ مــا أمَّــله

٢ وإنْ زارَ قــبرَ نبــيٍّ الهُــدى   فقــد أكمــلَ اللــهُ مــا أمَّ لــه

---

(٥٦) لمع السحر ٧٤ ب « ٢ - ٤ »، مطالع البدور ١/١٧٧ ، نفح الطيب ٢/٣٨٤ « ١،٤ »، ٢/٤٩١ « ٢-٤ » ،أنوار الربيع ٢/٢٨٧ « ٢-٤ » .

(*) رأى المقرى بخط ابن سعيد رواية بيتين على وجه آخر :

ثكلت أخلاء هذا الزمان   فعندي مما جنوه خلل

قضيت التعجب من شأنهم   فصرت أطالع باب البدل

(**) اللمح : « تغير أتراب » (ينظر نفح الطيب ٢/٤٩١ » .

(١) الأصل « حروف العلل » ، وهو تحريف ما أثبتناه وإلا فإن الشاعر يكون قد وقع في « عيب الإبطاء » وهو إعادة كلمة الروي « العلل » لفظاً ومعنى بدون فاصلة سبعة أبيات .

(٤) النفح ٢/٣٨٤ « من بابهم » .

(٥٧) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤ الإحاطة ٢/٢٣٧ ، جذوة الاقتباس ١/٢٨٠ .

(١) النفح « بلغ العبد » وآخر البيت « ما أم له » .

(٢) النفح « فإن زار » وآخر البيت « ما أمله » الإحاطة :آخر البيتين بلفظ واحد «ما أمله » وفي أحدهما سهو من الناسخ .

(٥٨)

وقال في ذم الفلاسفة : (من الوافر)

١ لأشياعِ الفلاسفةِ اعتقادٌ يَرون به عن الشّرع انحلالا

٢ أباحوا كلَّ مَحظورٍ حرامٍ وردُّوه لأنفسهمْ حَلالا

٣ وما انتسَبوا إلى الإسلامِ إلا لصَون دمائهمْ أن لا تُسالا

٤ فيأتونَ المناكرَ في نَشاطٍ ويأتونَ الصَّلاة وهم كُسالى

(٥٩)

وقال في الحكمة والخلق الإسلامي : (من السريع)

١ إياك والشهرةَ في ملبسٍ والبسْ من الأثواب أسمالها

٢ تواضَعُ الإنسان في نَفسِه أشرفُ للنَّفس وأسمى لها

(٦٠)

قال يمدح أمير المؤمنين المنصور الموحدي : (من الطويل)

١ بلغتَ أمير المؤمنينَ مدى المنى لأنكَ قد بلغتنا ما نُؤمِّلُ

٢ قصدتَ إلى الإسلام تُعلي منارَه ومقصِدُك الأسنى لدى الله يُقبلُ

٣ تداركتَ دينَ الله في أخذ فرقةٍ بمنطقهم كانَ البلاء مُوكَّلُ

---

(٥٨) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١ .

(٤) في عجز البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾ التوبة ٥٤.

(٥٩) نفح الطيب ٢/٤٥٨ .

(٦٠) الذيل والتكملة ٦/٣١ .

(٣) يريد بالفرقة الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد ، وقد تعرض له في قصائد كثيرة ، وفي عجز البيت اقتباس من المثل الذي قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه : انظر ق ٤٤ هامش (٢) .

٤ أثاروا على الدِّين الحَنيفي فتنةً | لها نارُ غيّ في العقائدِ تُشعلُ
٥ أقمتهمُ للناس يبرأ منهم | ووجهُ الهدى من خزيهم يتهلّلُ
٦ وأوعزتَ في الأقطار بالبحث عنهم | وعن كتبهم والسعي في ذاك أجملُ
٧ وقد كانَ للسيفِ استباقٌ إليهم | ولكنْ مقام الخزي للنفس أقتلُ
٨ وآثرتَ درءَ الحدِّ عنهم بشبهةٍ | لظاهرِ إسلام وحكمكَ أعدلُ

(٦٠)

وقال : (من مخلع البسيط)

١ مولاي إني بحالِ شوقٍ | كلٌّ اصطبارٍ به يحولُ
٢ مرتقباً ذروةً عساها | تُشفي جوى هاجه الغليلُ
٣ أرسلتُ فيها إليك قلبي | وما أرى يرجع الرسولُ

(٦١)

وقال في الحكمة : (من الطويل)

١ وكم فلتاتٍ للصّنائعِ تُتّقى | عَواقبُها إن لم تَقع في محلّها
٢ كذا شهواتُ المرءِ إنْ لم تكُن له | موافقةً عادتْ عليها بكلّها

---

(٨) في ابن ماجة ، باب في الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات « ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً » ، وفي الترمذي - حدود : « ادرأوا الحدود ما استطعتم » .

(٦٠) مختارات من الشعر المغربي ٢٢١ نقلاً عن أدباء مالقة ٥٦ .
(٦١) الذيل والتكملة : ٦٠٩/٢/٥ .

(٦٢)

وقال في الحكمة : (من البسيط)

١ الناسُ مثلُ ظروفٍ حشوها صَبِرٌ وفـوقَ أفواهها شيءٌ من العَسلِ

٢ تغـرُ ذائقِها حتى إذا انكشفت لـه تَبينَ مـا تحـويه من زَغَـلِ

(٦٣)

وقال في الحكمة : (من الكامل)

١ لصنـائعِ المعـروفِ فلتـةُ غافـلٍ إن لـم تَضعهـا فـي محـلٍّ قابلِ

٢ كالنَّفس في شَهواتِها إن لم تكنْ وَفقـاً لهـا عـادَتْ بضُرٍّ عَاجِـلِ

(٦٤)

وله في قصيدة مطولة أولها : (من المتقارب)

لعـل بشير الرضـا والقَبـول يعلّـل بالوصل قَلـبَ الخليـل

---

(٦٢) غرر الخصائص ٢٧ ، نفح الطيب ٢/٤٩١ .
(١) الصبر : عصارة شجر مر.
(٢) النفح « إذا كُشفت ، من دخل » .

(٦٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٩ ، الإحاطة ٢/٢٣٧ ، جذوة الاقتباس :١/٢٨٠ .
(١) الإحاطة :« وصانع المعروف فلتة عاقل »، وفي أوله تحريف لا يستقيم به الوزن ، وفيه « في محل عاقل» ، الجذوة : « فضائع » .
(٢) الإحاطة « وقفاً لها » ، الجذوة : « كالشمس في سمواتها » .

(٦٤) نفح الطيب ٢/٤٨٧ .

(قافية الميم)

(٦٥)

ولما وصل ابن جبير إلى مكة في ١٢ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ أنشد قصيدته التي أولها : (من المتقارب)

١ بلغتَ المنى وحللت الحرَمْ فعاد شبابك بعد الهرَمْ
٢ فأهلاً بمكةَ أهلاً بها وشكراً لمن شكره يلتزمْ

وهي طويلة وآخرها :

٣ نبيٌّ شفاعته عِصمةٌ فيومَ التّنادي به يُعتَصَم
٤ عَسى أن تُجاب لنا دَعوة لديه فنكفى بها ما أهم
٥ ويرعى لزوّاره في غدٍ ذِماماً فما زالَ يَرعى الذِّمم
٦ عليه السّلام وطُوبى لمن أَلمَّ بتربته فاستلم
٧ أخي كم نتابعُ أهواءنا ونخبِطُ عشواءَها في الظُلم
٨ رويدك جُرتَ فعُجْ واقتصدْ أمامك نهجُ الطريق الأعمْ
٩ وتُبْ قبل عضّ بنانِ الأسى ومن قبلِ قَرعِكَ سن الندمْ

ومنها :

١٠ وقل ربِّ هبْ رَحمةً في غد لعبدٍ بسيما العُصاة اتسمْ
١١ جرى في ميادينِ عِصيانه مُسيئاً ودانَ بكفرِ النِّعمْ
١٢ فيا ربِّ صفحُك عما جَنَى ويا رَب عفوكَ عما اجترمْ

---

(٦٥) نفح الطيب ٢/٤٩٢ - ٤٩٤ .

(٩) في البيت اقتباس من المثل « قرع سن الندم » المستقصى ٢/١٩٦ .

(٦٦)

وقال في الرمد : (من الكامل)

١ قالـوا الحبيبُ شكَا جُعلتُ فداءَهُ رَمَـداً أصـابَ جُفونه كالعنـدمِ

٢ فأجبتهـمْ مـازالَ يفتـِكُ لحظُـه في مُهْجَتي حتّى تَضرَّجَ بالـدَّمِ

(٦٧)

وقال يحرض السلطان صلاح الدين الأيوبي على النظر فيما ظهر من البدع بالمدينة على دفينها الصلاة والسلام (*) . (من الوافر)

١ صلاحُ الدِّيـن أنتَ لـه نِظـام فمـا يخشـى لعـروتِه انفصَامُ

٢ فأظهـرْ سُـنة اللـه احتسـاباً فقـد ظَهـرت بهـا البِدعُ العظامُ

٣ وفـي ديـنِ الهُدى حَـدَثَتْ أمور بهـا للدِّيـن حـزن واغتمـامُ

٤ جـديرٌ أن يقـامَ لهـا ارتماضـاً مآتـم للـوَرى فيهـا التَـدامُ

٥ وكيـف يَلـذُّ للأجفـانِ نَـومٌ وللإسـلام جَفـنٌ لا ينـامُ

٦ وكيـفَ تَطيـب فـي الدنيا حياةٌ وطَيبـةُ لا يطيـبُ بهـا مقـامُ

٧ بتربتهـا رسـولُ اللـه ثـاوٍ وليـس لأهلهـا منـه احتشـامُ

٨ لـو احتَرمـوه أو هَابـوه يَومـاً لكـانَ لصحبـه معـه احـترامُ

٩ وهـل يَرضـى صَلاتهـم عَليـه إذا سُبَّـتْ صَحابتُـه الكـرامُ

١٠ ... ...

١١ عـزوا بعـد النّبـي لهم ضَـلالاً لقـد ضَلّ الغُـواةُ ومـا استقامـوا

١٢ وسنتـه أضـاعوهـا امتهـاناً فمـا لهـم بواجبهـا اهتمـام

١٣ وليسَ يَـذلّ عندَهم سوى مَـن لـه بجميـلِ مذهبهـا ارتسـامُ

١٤ ومـا يَرعـونَ ذمّة زائريـه وللذمّـي قـد يُرعـى الذّمـامُ

---

(٦٦) السحر والشعر ٢١٧ « باب النسيب » .

(٦٧) الذيل والتكملة ٦١٧/٢/٥ - ٦٢٠ « ١-٦٥» ، نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ٥٧ » .

(٤) ارتمض فلان من كذا : اشتد عليه وأقلقه ، وارتمض له : حدب له ، التدم : اضم .

١٥ ومسجدُه المباركُ عادَ سوقاً ... لهم فيها على اللّهو ازدِحامُ
١٦ يعيدُ بـه الصّلاةَ مؤذّنوه ... وما بإمامهم لهم ائتمامُ
١٧ إذا قاموا لها قاموا كُسالى ... على كره كأنّهم نِيامُ
١٨ يُضيعونَ المواقيتَ اقتصاداً ... ليعدمِ للصّلاةِ به انتظامُ
١٩ وروضَتَه المقدَّسة استَباحوا ... مَهابتها فأدمُعُها سِجَامُ
٢٠ إذا حفوا بها لَعِبوا ازدراءً ... وكانَ لهم بتربتِها انتخامُ
٢١ وقاموا للسلامِ وفيه لَعْنٌ ... لقد سَاءَ الهدى ذاكَ المَقامُ
٢٢ ويَرقى فوقَ مِنبره خَطيب ... له في الدين خَطبٌ لا يَرامُ
٢٣ هوالقَاضي وحَسبك من قَضاءٍ ... له بالجَور في الشّرع احتِكام
٢٤ ... ...
٢٥ وهَلْ يغني انتِسابهم إليها ... وعن دينِ الهدى لهم انْصِرَامُ
٢٦ ونوحٌ لابنه لم يغنِ شيئاً ... ولا أغناهُ بالجَبل اعتصامُ
٢٧ أعزَّ اللهُ بالإسلام قَوماً ... فليس له بغيرهم قَوامُ
٢٨ فذلّتْ فِرقةٌ طعنتْ عليهمْ ... وهِيلَ على أنوفهمُ الرَّغامُ
٢٩ وكيف يُعَزُّ عند الله قَومٌ ... ودينُ الله بينهم يضَامُ
٣٠ نقومُ إلى الصّلاةِ وهم قعودُ ... ويَعلو عِندَها لهمُ الكَلامُ
٣١ بلعنٍ صُمَّت الآذانُ منه ... وسبٌ للصحابة يستَدَامُ
٣٢ وتقرأ بين أيديهم جِهاراً ... تَوالف كلها زُورٌ سَخَامُ
٣٣ ويَسعى بينَ أيدينا اعتِراضاً ... لقطعِ صَلاتنا منهم طَغامُ
٣٤ فلا المأموم يَدري ما يُصلِّي ... ولا يَدري بما صلّى الإمام
٣٥ تَراهم يَسخرون بنا احتِقارا ... وللأحقادِ عندَهم احتِدام
٣٦ ويعتَقدونَنا نَجساً خَبيثاً ... فليسَ لهم لجانبِنا انضِمام
٣٧ يرونَ الجَمع للأختَين حِلاً ... وتُعطى البِنتُ ما يَرِث الغلام

(١٧) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ . النساء ١٤٢.
(٢٠) تنخم : دفع بشيء في صدره أو أنفه .

٣٨ وما التّجميعُ عندَهم بشَرعٍ ... لقد تَاهوا بباطلِهم وهَاموا
٣٩ يُقيمونَ الصَّلاةَ وهم فرادى ... لقد شردوا كما شرد النَّعامُ
٤٠ وليسَ لهم من الإسلام حظٌ ... ولو صلُّوا مدى الدُّنيا وصَاموا
٤١ ومن قَد خالفَ السَّلفَ ابتداعاً ... أتنفعه الصَّلاة أو الصِّيامُ
٤٢ لقد مَرقوا من الدِّين اعتداءً ... كما مَرَقتْ من المرمى السِّهامُ
٤٣ لهمْ من أهل مذهبهم شيوخٌ ... أقاموا بينَ أظهرهم ودَاموا
٤٤ فكم غمرٍ أضلُّوا واستزلُّوا ... فحُمَّ على الضَّلالِ له الحِمامُ
٤٥ وكم غِرٍّ ببذلِ المالِ غَرُّوا ... فكانَ على الحُطَام له انحطامُ
٤٦ فأضرمَ بالمدينةِ نارَ غيٍّ ... أبَتْ ألا يَزالَ لها اضطرامُ
٤٧ وأوسعَ أهلها بِراً وبُراً ... فكان لهم على الغيِّ اقتحامُ
٤٨ فَما يُرجى لهم أبداً فَلاح ... ولا رشدٌ وهل يُرجى الجَهامُ
٤٩ وما لهم إلى خير مضاءٌ ... مدى الدّنيا وهل يَمضي الكَهامُ
٥٠ لعمرُك إنهم داءٌ عُضَالٌ ... وما بِسوى الحُسامِ له انحسامُ
٥١ ومن لم يرضَ حكم الله شرَعاً ... فما دَمه لسافكه حَرامُ
٥٢ إذا انحطَّ الرَّعية في هَواها ... ولم تُردَعْ فراعيها يُلامُ
٥٣ وإنْ نشأتْ عوارضُ للأعادي ... فَبرقُ السَّيفِ أول ما يُشامُ
٥٤ فأمضِ الهِمَّةَ العُليا إليهم ... وجَاهدْ أيها الملكُ الهُمامُ
٥٥ وأرضِ المُصطفى في صاحِبيه ... بنصرٍ لا يُفلُّ له اعتزامُ
٥٦ أتاكَ رِضاه عفواً فاغتنمه ... لما ترجو وحق له اغتنامُ
٥٧ أيقبلُ منك عندَ الله عُذر ... وما لكَ من أعاديه انتقام
٥٨ وما نالَ الحجازُ بكم صَلاحاً ... وقد نَالتهُ مصرٌ والشآمُ
٥٩ ولولا هَيبةٌ لدفينهمْ لم ... تُحجَّ الكعبةُ البيتُ الحرام
٦٠ فإنْ أسلمتَ دِين الله فيها ... على الدُّنيا وساكِنها السَّلام

---

(٤٨) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .
(٤٩) الكهام : السيف الكليل .

(٦٨)

وقال وقد تحرك للرحلة الحجازية : (من الوافر)

١ أقـول وقـد دعــا للخير داعٍ — حننتُ لـه حَنـينَ المُستَهـام

٢ حَـرام أن يَحـل بـي اعتياض — ولـم أرحَـلْ إلـى البيتِ الحرامِ

٣ فـلا طَافتْ بـي الآمال إن لم — أطُفْ ما بينَ زَمـزَم والمقـامِ

٤ ولا طَابت حَيـاةُ لـي إذا لـم — أزرْ فـي طَيبـة خيرَ الأنـامِ

٥ فأهديــه السّلامَ وأقتضيــه — رِضـا يُدنـي إلـى دارِ السّلامِ

(قافية النون)

(٦٩)

وقال يهنيء حجاجاً اجتمع بهم في مكة - شرفها الله - وتشوق إليهم :

(من الرمل)

١ يا وفـودَ الله فُزتُـم بالمُـنى — فهنيئـاً لكـم أهـلَ مِـنى

٢ قـد عَرَفنـا عرفـاتٍ مَعَكمْ — فلهـذا بـرّحَ الشـوقُ بِنـا

٣ نحـنُ بالمغـرب نُجـري ذِكركم — فغـروبُ الدّمـع تجـري هتَنـا

٤ أنتـمُ الأحبـابُ نشكـو بُعدكم — هـل شَكوتـم بُعـدنا مـن بَعدنا

٥ علّنـا نَلقـى خَيـالاً مِنكـم — بلذيـذِ الذكـر وَهْنـاً عَلّنـا

---

(٦٨) زاد المسافر ١١٥ ، نفح الطيب ٤٩٣/٢ .
(٢) النفح : « أن يلذ لي اغتماض »، والاعتياض : طلب العوض .
(٣) النفح : « ولا طافت » .
(٥) النفح : « وأهديه » .

(٦٩) زاد المسافر ١٥٩ ، عقود الجمان ج٦ ورقة ٦٣ - ٦٤ «١-١٥» عدا (٦) ، المغرب : ٣٨٥/٢ هـ « ١- ٣ » الذيل والتكملة ٦١٤/٢/٥ « ١- ١٥ »، نفح الطيب ٤٨٦/٢ - ٤٨٧ « ١- ٧ ، ١٢- ١٥» .
(٢) المغرب والنفح :« عرفات بعدكم » .
(٣) النفح :« نحن في الغرب ويجري ذكركم بغروب، المغرب:« وغروب الدمع تجري بيننا » .

٦ لو حَنا الدّهر علينا لقَضى ... باجتماعٍ بكمُ في المُنحَنى
٧ لاحَ برقٌ موهناً من أرضكم ... فلعَمري ما هَنا العَيشُ هنا
٨ صَدَعَ الليلُ وميضاً وسَنَا ... فأبَينا أن نَذُوقَ الوَسَنَا
٩ كم جَنى الشوق علَينا من أسى ... عاد في مَرضاتِكم حُلو الجنَى !
١٠ ولكم بالخيفِ من قَلبِ شجٍ ... لم يزل خوفَ النوى يَشكو الضنى!
١١ ما ارتضى جانحةَ الصدرِ له ... سَكناً منذ به قد سكنا
١٢ فيناديه على شَحْطِ النّوى ... من لنا يَوماً بقلبٍ ملّنا
١٣ سِرْ بنا يا حَاديَ العيس عَسَى ... أن نلاقي يومَ جمع سربنا
١٤ ما عنى داعي النّوى لما دعى ... غيرَ صَبّ شَفّه بَرح العَنا
١٥ شِمْ لنا البَرقَ إذا لاح وقلْ ... جَمَعَ الله بجمعٍ شَملَنا

(٧٠)

وقال يتشوق لوطنه : (من المتقارب)

١ غريبٌ تذكّرَ أوطانَه ... فهيّجَ بالذكرِ أشجانَه
٢ يحلُّ عرى صَبرِهِ بالأسى ... ويعقِدُ بالنّجمِ أجفانَه
٣ ويرسلُ للغَربِ من دَمعه ... غَروباً لتَسقيَ سكّانَه

---

(٦) الزاد والنفح :« بالمنحنى ».
(٧) النفح :« من نحوكم » .
(٨) الزاد :« وميض ».
(٩) الزاد « مرضاكم » .
(١٢) الزاد « فتناديه » العقود : فنناديه » ، الشحط : البعد .
(١٣) النفح :« يا حادي الركب » .
(١٤) النفح :« ما دعا » .
(١٥) الزاد والذيل :« إذا هب »، وشام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر .
(٧٠) زاد المسافر ١١٥ « ١-٢ »، المغرب ٣٨٥/٢ « ١-٣ »، نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ١-٣ » .
(٢) المغرب :« يحل جواه عقود العزاء » .

(٧١)

وقال وقد شهد العيد بطندقة من قرى مصر : (من الطويل)

١ شَهِدنا صَلاة العيد في أرض غُربةٍ بأحوازِ مصرَ والأحبةُ قد بَانـــوا

٢ فقلتُ لخلّي في النوى جُد بدمعــةٍ فَلَيس لنا إلا المدامعُ قُربـــانُ

(٧٢)

وقال في الصمت : (من الوافـر)

١ بَيــانُ المــرء بالإكثــار عيــبٌ وعُقْبى الصَّمتِ أقـربُ للبيــانِ

٢ ومــا فـي الأرض إن فكَّرتَ شيءٌ أحـقُّ بِطـولِ سِجـنٍ مـن لِســانِ

(٧٣)

وقال يطلب الرضا : (مخلع البسيط)

١ يــا رب هـبْ لـي رضـاك عني فإنـــــه غايــــة التمــــني

٢ إنْ نلتـــه منـــك لا أبالــــي مــا نال صــرف الزمـان مــني

---

(٧١) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٤٩٢/٢ ، الحلل السندسية ٢٦٩/١/١.
(٢) النفح :« جد بمدمع » .
(٧٢) جذوة الاقتباس ٢٨٠/١ .
(٧٣) لمح السحر ٨٦ ب .

(قافية الهاء)

(٧٤)

قال في الحكمة والخلق الإسلامي : (من الطويل)

١ تنزهْ عن العَوراء مهما سمعتها صيانـةَ نفـسٍ فهو بالحر أشبـه

٢ إذا أنت جاوبتَ السفيـهَ مشاتماً فمـن يَتَلقى الشتم بالشّتم أسفه

(٧٥)

وقال : (من مجزوء الخفيف)

١ قُـلْ إذا جئـتَ مجلسـاً وسمعـت المُـزاحَ مَـهْ

٢ واجتنـبْ كـلَّ مَـوردٍ فيـه تَلـقَى المُزاحَمَـهْ

(٧٦)

أنشد ابن جبيـر بمسجد الإسكندرية : (من الكامل)

١ يـا زائـراً لـم يقـضِ أن ألقـاهُ دهـرٌ يعـوقُ عـن الذي أهـواهُ

٢ ضَنَّ الزّمانُ وقد سَمَحتَ فلم يكنْ مـن زُرتَـه للحـينِ مـن معناهُ

٣ يا ويحَـهُ لعظيـم أنـسٍ فاتَـهُ إن لـمْ يَـذُبْ كَمَداً فمـا أقْسَاهُ

٤ لمّـا وجَـدتُ فِنـاءَ داري عَاطِـراً أيقنـتُ أنّـكَ قـد وطِئـت ثـراهُ

٥ وطَلَبتُ للتقبيـلِ فيـه مَوضعـاً فـإذا الحَيـا المُنْهَـلُ قَـد عفّـاهُ

٦ لم يَبـقَ من أثَرٍ لوطئك في الثَّرى فجعلـتُ ألثـمُ حيـثُ نَـمَّ شـذاهُ

٧ حـتّى الغمـامُ يعـوقُ عمّا أبتغِي يـا مـا أكابـده ومـا ألقَـاهُ!

---

(٧٤) نفح الطيب ٢/٤٨٥ .

(٧٥) عقود الجمان ٦/٦٥

(٧٦) عقود الجمان ٦/٦٤ .

(٧٧)

قال في ذم الفلاسفة : (من المجتث)

١ قُــل للزناديــقِ عــنّي | قَــولا هــو السيفُ أمضيـهِ
٢ أرسلــتُ شِعــري فيكــم | يَغزوكـــم بقَوافيـــهِ
٣ صَدَعــتُ للــه فيــه | بالحــق والحــقُّ يُرضيــهِ
٤ كــم ظامــيءٍ لكلامــي | يَرويــه عَجبــاً فيرويــهِ
٥ وكــمْ غَليــلُ فــؤادٍ | بصحــةِ القــولِ يَشفيــهِ
٦ وراكــبٍ لهــواه | عَســاه يَومــاً سَيُثنيــهِ
٧ لعلكــم إنْ تَقولــوا | فإنكُــم أهــل تَمويــهِ
٨ مــن كــانَ جاهــلَ شــيء | فــلا يَــزالُ يُعاديــهِ
٩ هَيهــاتَ بغضــيَ فيكــم | فــي اللــه واللــه يَدريـهِ
١٠ وذلــكَ العِلــمُ عِنــدي | لا خــيرَ فيكــمْ ولا فيــهِ

(٧٨)

وقال في جارية تركها بغرناطة : (من مخلع البسيط)

١ طُــول اغــترابٍ وبَرح شَـوقِ | لا صَــبْرَ واللــه لــي عَلَيـهِ
٢ إليــكَ أشكــو الــذي ألاقِــي | ياخَــيْرَ مــن يُشتَكــى إليـهِ
٣ ولــي بِغرناطــةٍ حَبيــب | قــد غَلَّــقَ الرّهنَ فــي يَدَيْـهِ
٤ ودَّعتــه وهــو بــارتمــاض | يَظهــر لــي بعضَ مــا لديـهِ
٥ فلــو تَــرى طَــلَّ نَرجسيــه | يَنْهَــلُّ فــي وردِ صَفْحَتَيــهِ
٦ أبصــرتَ دراً علــى عَقيــقٍ | مــن دَمعِــه فــوق وَجنَتَيــهِ

---

(٧٧) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٢ .
(٧٨) المغرب ٢/٣٨٤ - ٣٨٥ ، نفح الطيب ٢/٣٨٦ .
(٤) النفح :« وهو في دلال »، والارتماض من قولهم : ارتمض فلان من كذا ، بمعنى اشتد عليه وأقلقه .
(٥) النفح : « في ورد وجنتيه » .
(٦) النفح : « فوق صفحتيه » .

(٧٩)

قال لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً : (من المتقارب)

١ بـدَتْ لـي أعـلامُ بيتِ الهـدى بمكـةَ والنـور بـادٍ عَليـه

٢ فأحرمـت شـوقاً لـه بالهـوى وأهديـت قَلـبي هَديـاً إليـه

(٨٠)

ومن أبدع ما أنشده أول رحلته إلى الديار المقدسة : (من الخفيف)

١ طـالَ شَـوقي إلـى بقاعٍ ثَلاث لا تشـدّ الرِّحـالُ إلا إليهـا

٢ إنَّ للنفـسِ فـي سَماء الأماني طَائـراً لا يَحـوم إلا عليهـا

٣ قُـصَّ منـه الجَنـاحُ فهـو مَهيضٌ كـلَّ يَومٍ يَرجـو الوقـوع لديهـا

(٨١)

وقال يخاطب غرناطة : (من مجزوء الرمل)

١ يا دمشـقَ الغَـرب هاتِيـ ـكِ لقـد زِدت عليهـا

٢ تحتَـك الأنهـارُ تَجـري وهـي تنْصَـبُّ إليهـا

---

(٧٩) نفح الطيب ٢/٣٨٤ .

(٨٠) نفح الطيب ٢/٤٨٨ .

(١) في البيت اقتباس من الحديث الشريف « لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » صحيح البخاري ٢/٧٣ .

(٨١) نفح الطيب ٢/٣٩٢ .

(قافية الياء)

(٨٢)

وقال يذم الفلاسفة : (من المجتث)

١ الذّيــن يشــكو بَليّـــه ـــن فِرقَـــة منطقيّـــه

٢ لا يشهَـــدون صــلاةً إلا لمعـــنى التّقيّـــه

٣ ولا تَـــرى الشـــرع إلا ســياســـة مدنيّـــهْ

٤ ويؤثِـــرونَ عَليـــه مذاهبـــاً فلسفيّـــهْ

(٨٣)

وقال ابن جبير في رحلته : (من مجزوء الخفيف)

١ سيكـــون الـــذي قُضـــي سَخِـط العَبـــد أو رَضِـــي

(قافية الألف)

(٨٤)

قال حين دخل بغداد فاقتطع غصناً نضيراً فذوى في يده: (من مجزوء الرجز)

١ لا تغـــتربْ عـــن وطـــنٍ واذكـــر تصـــاريفَ النّـــوى

٢ أمـا تَـــرى الغُصـــن إذا مـــا فـــارق الأصـــلَ ذَوى

---

(٨١) نفح الطيب ٢/٣٩٢ .

(٨٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١-٦١٢ .

(٨٣) رحلة ابن جبير ٢٨٩ .

المنسوب إلى ابن جبير

(٨٥)

انشد أبو عمرو بن الشقر عن بعضهم قال : ولا أدري هل هو له أو تمثّل به ؟ قال :

(من الطويل)

١ ألا إن هـذا الدهـر يـومٌ وليلـة   يكرّان من سبت عليل إلى سبتِ

٢ فقل لجديد العيش : لابد من بلى   وقل لاجتماعِ الشّمل: لابد من شتٍّ

---

(٨٥) رحلة العبدري ٧٢ ، الحلل السندسية ١/١/٢٧٠ .



ما وصل إلينا من نثره

ما وصل إلينا من نثره

(١)

ماشاهده في مجالس ابن الجوزي ببغداد :

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه ، الإمام الأوحد ، جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجَوْزي ، بإزاء داره على الشطّ بالجانب الشرقيّ وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البَصليّة آخر أبواب الجانب الشرقي ، وهو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفَرا كل الصيد [١] ، آية الزمان ، وقرّة عين الإيمان ، رئيس الحنبلية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العليّة ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمّة الكلام في النظم والنثر ، والغائص في بحر فكره على نفائس الدُّرّ ، فأما نظمه فرضيّ الطّباع ، مهياري [٢] الانطباع ، وأما نثره فيصدع بسحر البيان ، ويُعطّل المثل بقُس وسَحْبان .

ومن أبْهر آياته ، وأكبر معجزاته ، أنه يصعد المنبر ويبتدىء القرّاء بالقرآن ، وعددهم نيّف على العشرين قارئاً ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلتْ طائفة

---

(١) رحلة ابن جبير ١٩٦ - ٢٠٠ .

(١) مأخوذ من المثل القائل : كل الصيد في جوف الفرا ، والفرا : الحمار الوحشي ، يريد أن الخطيب وحيد في علمه .

(٢) رضي الطباع : شبيه في طبعه بالشريف الرضي الشاعر المشهور. مهياري : شبيه بمهيار الديلمي الشاعر أيضاً .

أخرى على عددهم آيةً ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات مشتبهات ، لا يكاد المتّقد الخاطر يحصّلها عدداً ، أو يسمّيها نسقاً . فإذا فرغوا .. أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته ، عَجِلاً مبتدراً ، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دُرَراً ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فِقَراً ، وأتى بها على نسق القراءة لها و لا مقدّماً ولا مؤخراً . ثم أكمل الخطبة الغراء بها عِجِلاً ! ﴿ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ [1]، ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ [2] ، فحدّث ولا حرج عن البحر ، وهيهات ، ليس الخَبَر عنه كالخُبْر !

ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيّنات من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراقاً ، إلى أن علا الضجيجُ ، وتردّد بشَهَقَاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفَراش على المصباح ، كلٌّ يُلقي ناصيته بيده فيجزّها، ويمسح على رأسه داعياً له ، ومنهم من يُغشى عليه فيُرْفَع في الأذرع إليه ، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكّرها هولَ يوم القيامة ، فلو لم نركب ثَبَجَ البحر ، ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل ، لكانت الصفقة الرابحة . والوِجهة المُفْلحة الناجحة ، والحمد لله على أن منّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله .

وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتصير إليه الرقاع ، فيجاوب أسرعَ من طرْفة عين . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك

---

(١) سورة الطور ، الآية ١٥ .

(٢) سورة النمل ، الآية ١٦ .

المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له ، بُكرةَ يوم الخميس الحادي عشر لصفر ، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة ، ومناظره مُشرفة عليه . وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخُص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفةُ ووالدتهُ ومن حضر من الحُرَم . ويُفتَح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع ، وقد بُسط بالحُصُر ، وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحَبْر المكلم ، فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطّر القرّاء أمامه على كراسيّ موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوّقوا ما شاءوا ، وأطربوا ما أرادوا . وبدرت العيون بإرسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغرّاء ، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات ، ومشى الخطبةَ على فِقْرَة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها ، وكانت الآية ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ﴾ [1] ، فتمادى على هذا السين [2] ، وحسّن أيّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكنى عنها السّتر الأشرف ، والجناب الأرأف . ثم سلك سبيله في الوعظ ، كل ذلك بديهة لا رَوِية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى ، فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارحَ الناس عليه

---

(١) سورة غافر ، الآية ٦١ .

(٢) أي الكلام المسجوع بحرف السين .

بذنوبهم معترفين ، وبالتوبة مُعْلنين ، وطاشت الألبابُ والعقول ، وكان الوَلَه والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً ، ولا تميز معقولاً ، ولا تجد للصبر سبيلاً .

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرّحة التشويق ، بديعة الترقيق تشعل القلوب وَجْداً ، ويعود موضعها النسيبي زُهداً . وكان آخر ما أنشد من ذلك ، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام :

أين فؤادي أذابـه الوجـــد ؛ وأين قلبي فما صحا بعـــدُ

يا سعد زِدْني جوىً بذكرهمُ ؛ بالله قُل لي فُديتَ يا سعدُ

ولم يرددها والانفعال قد أثّر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهِشاً عَجِلاً وقد أطار القلوبَ وَجَلاً ، وترك الناس على أحرّ من الجمر ، يشيّعونه بالمدامع الحُمْر . فمن مُعْلنٍ بالانتحاب ، ومن متعفّرٍ في التراب . فياله من مشهدٍ أهْوَلَ مرآه ، وما أسعد من رآه ! نفعنا الله ببركته . وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته ، بمنّه وفضله .

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نيّر القَبَس ، عِراقيّ النفَس ، في الخليفة ، أوله :

في شُغُلٍ من الغَرام شاغلِ من هاجَهُ البرقُ بسفحِ عاقِلِ

يقول فيه عند ذكر الخليفة :

يا كلمات الله كوني عُوذَةً من العيون للإمام الكاملِ

(٢)

ففرغ من إنشاده وقد هزّ المجلس طرباً ، ثم أخذ في شأنه وتمادى في إيراد سحر بيانه . وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يُعطي من ملكة

النفوس والتلاعب بها ما أُعطِيَ هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده ، لا إله غيره . »

(٢)

من نثره ما كتبه إلى الشام متشوقاً لشيخ الشيوخ ابن حمويه [١]، جواب كتاب صدر منه إليه :

« صدرت المخاطبة العزيزة ، الفلانية ، حرس الله سَناءه ، وهَنّاه ، ويسّر له كلّ أمل وسنّاه ، وعرّفه بعد طول العمر حسنى خواتم مسعاه ، بما صدر عن مثله ، ويضيق بفضله ، والفضل لا ينكر على أهله ، وعَلِم الله أني إليه بالأشواق ، وكيف لا ، ومن ذاق طيب شيمه الكريمة ، لم يشبع من ذواق ، وحصّل من محبته ، ويبقيه [٢]، ومن كل مكروه يقيه ، وإلى كل معلوّة يرقيه » .

(٣)

وكتب إليه أيضاً ، شافعاً في رجل من فقراء أهل بلده ، أن ينزل في موضع يرتزق منه ، وقد كان يكرر القول فيه :

« كان قد تقدم وعده الكريم للشيخ الصالح فلان ، أن ينزل مع الصوفية - نفع الله ببركتهم - أو يرتب له (أمان)[١] مسجدٍ في هذا الشهر الشريف ، فإن كان قد تيسر ذلك ، فهو يسأل إنجازه ، وإن تعسّر ذلك ، لسوء حظه ، فليس له سوى بابه المقصود ، ولا يَرِدُ عند ظمأ به سوى

---

(٢) عقود الجمان (مخطوط) ج٦ ورقة ٦٦/أ-ب .

(١) تقدمت ترجمته في هامش ق ١٩ .

(٢) كذا الأصل وفيه تحريف .

(٣) عقود الجمان (مخطوطة) ج٦ ورقة ٥٦٦ - ٦٧ أ .

(١) كذا الأصل ، وهو يستقيم على الإضافة إلى (مسجد) .

بحر كرمه المورود ، فقد أسمع لسان الحال عنه ، أدام الله سؤدده :

إلينا اقصدوا يا معشرَ الركب إننا نَـرى العـارَ أنْ نُمسي بغير وفـودِ

فـإن كان قـد تيـسر ذلك ، فهـو يسـأل إنجازه ، وهذه ليالٍ عظَّم الله بركتها عليه ، وساق أجر الدَّاعين فيها إليه ، لا يحتمل الصَّبرَ على إفراط الضَّرورة البشرية واللوازم الجثمانية ، سيما مع العيال ، وفَرط الإملال ، وما كتبتها إلا وقد تحققت أنه انتهى إلى حالة لا يستطيع معها صبراً ، وتَمسك بذيل المراحمِ السَخيَّة ، وقد طفق لسانـه يقـرأ : ﴿ إن سـألتـكَ عن شيءٍ بعدَها ، فلا تُصاحبني قد بلغتَ من لدنّي عذراً ﴾ [(١)] .

(٤)

قال الشيخ ، وكتب إليه أيضاً من الإسكندرية متشوقاً ، وشافعاً ، ومقصودي ذكر فضله ونشر ذكره ، لا وصف ما وصفني ، ثناءً على حسن ظنه ، لا على حقيقة حال صدَّرها بهذه الأبيات :

سَلام كأزهـار الرَّبيـعِ نضـارةً وحُسناً على شيخ الشيوخ الذي صَفَا

ولو لم يَعُقني العُذرُ عن قصدِ رَبعه سَعيتُ كما يَسعى المُلبِّي إلى الصَّفا

ولكن عَدانـي عنـه دهـرٌ مكـدَّر ومن ذا الذي واتاه في دَهرِه الصَّفا

أصدرت هذه اللَّمعة ، والشَّوقُ إلى خدمته ، مستعرِ اللّهب ، وأدعيتي في ضمن ذلك متتابعة الأوراد والثُّوب ، ولست أرى الإغراقَ ، في إيضاح ولائي الذي راق ، لتحققي إحاطة المعرفة الكريمة بعقائد أولي الوفاق ، والله سبحانه مُوقفي لشكرِ ما منحته من جميل ولائه ووداده [(١)] اللذين خلصا لي بغير استحقاق ، وهذه التحية تصل على يد فلان ، وهو غرارة[(٢)] أهلي

---

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة الكهف الآية ٧٧ .

(٤) عقود الجمان (مخطوطة) ج ٦ ورقة ٦٧ أ - ب .

(١) الأصل :« ووداه » وهو تحريف .

(٢) الأصل « عَراه» وهو تحريف ، والغرارة من القوم ، شريفهم .

وأخلاتي ، وولاؤه للشيخ السيد فلان كولاتي ، وما فتيء منذ حظي باجتلاء محاسنه الباهرة ، واختيار أخلاقه الطّاهرة [1] ، من تلاوة صحف الثناء المحبَّر ، والإطناب فيما برزَ فيه على مادحٍ كتب وعبر ، وقد قصد الخدمةَ ، ويا ليتني كنت معه ، وأحظتني الأيام بما أحظتْ مرآه ومسمعه ، على أني وإن كنت عابطاً ، فلست من درك الأمل قانطاً :

فقد يجمعُ الله الشتيتين بعدَما يظنّانِ كلَّ الظنِّ ألاّ تَلاقيا [2]

وقد قصد ذلك الرَّبع المعمور ، والرباط الذي هو قبلة المجد المشهور، وكفلت له عن السيادة بأن يتلقى الترحيب والتأهيل ، ويمدّ بالمساعدة المفضية به إلى درك التأميل » .

(٥)

وقال ابن جبير :

« شغل الناس عن طريق الآخرة بزخارف الأعراض ، فلجُّوا في الصدور عنها والإعراض ، آثروا دنيا هي أضغاث أحلام ، وكم هَفَت في حبّها من أحلام ، أطالوا فيها آمالهم وقصَّروا أعمالهم ، ما بالهم لم يتفرغ لغيرها بالهم ، ما لهم في غير ميدانها استباق [1] ، ولا بسوى هواها اشتياق [2] ، تالله لو كُشِفت الأسرار ، لما كان هذا الإصرار ، ولسَهِرَتْ العُيون ، وتفجَّرت من شئونها الجفون ، فلو أن عَيْنَ البصيرة من سِنَتها هَابَّة ، لرأتْ أن جميع ما في الدنيا ريح هابة [3] ، ولكن استولى العمى على

---

(١) الأصل « قلاده » .

(٢) البيت للمجنون ، ديوانه ٢٩٣ .

(٥) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ - ٦٠٩ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .

(١) ، (٢) الذيل : « استنان » في الموضعين وهو تصحيف .

(٣) الإحاطة : « لرأت جميعَ ما في الدنيا ريحاً هابة » .

البصائر ، ولا يعلمُ المرء ما هو إليه صائر[1] ، أسأل الله هداية لسبيله [2] ، ورحمة تورد في نسيم الفردوس وسلسبيله ، إنّه الحنّان المنّان لا ربّ سواه » .

(٦)

وقال ابن جبير :

فلتات الهبّات ، أشبه شيء بفلتات الشّهوات ، منها نافع لا يُعقبُ نَدَماً ، ومنها ضارٌ يبقي في النفس ألماً ، فضَررُ الهبة وقوعها عند من لا يعتقد لحقها أداء ، وربما أثمرت[1] عنده اعتداءً ، وضررُ الشّهوة ألاّ توافقَ ابتداءً ، فتعود لمستعملها[2] داءً ، مثَلُها [3] كمثل السّكر ، يلتذ صاحبه بحلوِ جَناه ، فإذا صَحا تعرّف[4] قدر ما جَناه ، ومنفعتها بعكس هذه القضية ، وهي الحالة المرضية [5] ، فالأسلم للمرء أن يأتي أمره على بصيرة من رُشده ، مستوضحاً فيه سَبيل قَصده ، وما التّوفيقُ إلا بالله ، وما الخير إلا من عند الله ، لا إله إلاّ هو .

---

(١) الإحاطة : « الإنسان ما إليه صائر » .
(٢) الإحاطة : « هداية سبيله » .
(٦) الذيل والتكملة ٦٠٩/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ - ٢٣٩ .
(١) الإحاطة : « أثرت » وهو تحريف .
(٢) الإحاطة : « لمتّبعها » .
(٣) الإحاطة : « مثلها » .
(٤) الإحاطة : « يعرف » .
(٥) الإحاطة : « عكس هذه القضية هي الحالة المرضية »، وقد سقط ما بعد الكلمة من الإحاطة .

من حكم ابن جبير وأقواله :

(٧)

قوله :

« إن شَرُف الإنسان ، فبفضل[1] وإحسان ، وإن فاقَ فبتفضل وإنفاق[2] ».

(٨)

وقوله في اللسان :

« ينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه[1]، كما يحفظ الجفن إنسانه ، فربّ كلمةٍ تقال ، تحدثُ عثرةً لا تُقال » .

(٩)

وقوله فيه :

«كم كست فلتات الألسنةِ الحداد، من ورائها من ملابسِ الحداد ».[1]

(١٠)

وقوله :

« نحن في زمن لا يحظى فيه بنَفاق إلا من عامل بنِفاق » .

---

(٧) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ .
(١) الإحاطة : « فشرف وإحسان » .
(٢) الإحاطة : « فتفضل وإرفاق » .
(٨) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .
(١) الإحاطة : « ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه» .
(٩) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الإحاطة ٢٣٨/٢ .
(١) الإحاطة : « ملابس حداد » .
(١٠) الذيل والتكملة ٦٠٨/٢/٥ ، الاحاطة ٢٣٨/٢ .


الفهارس

المصادر والمراجع

أولا : الكتب :

١ - ابن صارة الأندلسي ، حياته وشعره (ت٥١٧ هـ) / الدكتور مصطفى عوض الكريم .- ط . مصر ، الخرطوم . د.ت .

٢ - الإحاطة في أخبار غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦ هـ) .- ط ٤ .- القاهرة :مؤسسة الخانجي ، ١٩٧٣م .

٣ - الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، الدكتور حكمة علي الأوسي.- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦م .

٤ - أدب الرحلة عند العرب / الدكتور حسني محمود حسني .- القاهرة :المكتبة الثقافية ، رقم ٣٣٥ ، ١٩٧٦م .

٥ - أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، الدكتور عبدالرحمن حميدة .- دمشق : ١٩٦٩م .

٦ - إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح / ابن رشيد السبتي الفهري ؛ تحقيق الحبيب بن الخوجة .- تونس : الدار التونسية للنشر ، د.ت .

٧ - ألف باء/ أبوالحجاج يوسف بن محمد البلوي (ت ٦٠٤ هـ) ، .- ط - الوهبية بالقاهرة : ١٢٨٧ هـ .

٨ - أنوار الربيع في أنواع البديع / علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ)؛ تحقيق شاكر هادي شكر طه النعمان .-العراق : النجف ، ١٩٦٩م .

٩ - إيضاح المكنون / إسماعيل باشا جـ ١ .- طهران: المكتبة الإسلامية

والجعفري تبريزي : ١٩٤٧م .

١٠ - بدائع البدائه / ابن ظافر الأزدي (ت ٦٤٣ هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- ط ١ .- القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

١١ - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة / الدكتور عبدالرحمن الحجي.- ط ١ .- دمشق :دار القلم ، ١٩٧٦م .

١٢ - تاريخ الأدب الجغرافي والجغرافيين/ كراتشكوفسكي جـ ١-٢ ؛ ترجمة صلاح الدين عثمان .- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧م .

١٣ - تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس/ الدكتور حسين مؤنس.- ط ١ .- القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٥٥م .

١٤ - تاريخ الموسيقى العربية / هـ ، ج فارمر ؛ ترجمة الدكتور حسين نصار؛ مراجعة الدكتور عبدالعزيز الأهواني .- القاهرة : مكتبة مصر بالفجالة د.ت .

١٥ - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية / مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة عبدالرحمن بدوي.-، ط ٤ .- بيروت : دار القلم ، .د.ت .

١٦ - تراجم رجال القرنين السادس والسابع (ذيل الروضتين) / أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) ، طبعة بيروت .د. ت .

١٧ - التعريفات/ أبو الحسن الجرجاني (ت ٨١٦ هـ).- القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٨م .

١٨ - التكملة لكتاب الصلة / ابن الأبار البلنسي (ت ٦٥٩ هـ)، ط العطار ١٩٥٥م .

١٩ - التكملة لوفيات النقلة / أبو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ) ج ١ - ٨ ؛

تحقيق الدكتور بشار عواد معروف .- ط الآداب ، النجف : ١٩٧١م .
٢٠ - جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بفاس / أحمد بن القاضي المكناسي (ت١٠٢٥هـ) .- المغرب : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٤م .
٢١ - جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى / ابن عاصم الغرناطي (ت ٨٥٧هـ) تح . د. صلاح جرار .- عمّان : دار البشير ، ١٩٨٩م .
٢٢ - جهود المسلمين في الجغرافية / أحمد نفيس ؛ ترجمة فتحي عثمان ، سلسلة الألف كتاب ٢٧٢ .- القاهرة : دار القلم ، د.ت .
٢٣ - الحلل السندسية في الأخبار التونسية / الوزير السراج الأندلسي (ت ١١٤٩هـ)؛ تحقيق محمد الحبيب الهيلة .- تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م .
٢٤ - الحلل السندسية / شكيب أرسلان .- بيروت : دار مكتبة الحياة ، د.ت
٢٥ - دائرة المعارف الإسلامية / مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة محمد الفندي - أحمد الشنتناوي - إبراهيم خورشيد ، ١٩٣٣م .
٢٦ - ديوان ابن رشيق القيرواني ؛ جمع وتحقيق : عبدالرحمن ياغي .- بيروت : دار الثقافة .د.ت .
٢٧ - الذيل والتكملة / ابن عبدالملك المراكشي (ت ٧٠ هـ)
السفر الأول بقسمين ، تحقيق محمد بن شريفة دار الثقافة .- بيروت .
بقية السفر الرابع ؛ تحقيق د.إحسان عباس .- بيروت :١٩٦٤م .
السفر الخامس بقسمين ؛تحقيق د.إحسان عباس.- بيروت : ١٩٦٥م .
السفر السادس ؛ تحقيق د.إحسان عباس .- بيروت : ١٩٦٥م .
٢٨ - الرحالة المسلمون في القرون الوسطى/ الدكتور زكي محمد حسن

.- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٥م .

٢٩ - رحلة ابن جبير / تحقيق الدكتور حسين نصار .- القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٥م .

٣٠ - رحلة ابن جبير ؛ تقديم محمد مصطفى زيادة .- القاهرة : دار التحرير ، ١٩٦٨م .

٣١ - رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية / العبدري (ت ٦٨٨ هـ) ؛ تحقيق محمد الفاسي - سلسلة الرحلات - ٤ حجازية ١ ، المغرب ، د.ت .

٣٢ - رحلة العبدري / العبدري .-ط البعث ، قسطنطينة - كلية الآداب ، الجزائر د.ت .

٣٣ - الرحلات / الدكتور شوقي ضيف ، سلسلة فنون الأدب العربي ، الفن القصصي .- ط ٢ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٦م .

٣٤ - الروضتين في أخبار الدولتين / شهاب الدين أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) .- بيروت : دار الجيل .- ط وادي النيل ، القاهرة : ١٢٨٨هـ .

٣٥ - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر / صفوان بن إدريس التجيبي (ت ٥٩٨ هـ) .- بيروت : دار الرائد العربي، ١٩٧٠م .

٣٦ - السحر والشعر / لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) ؛ تحقيق عمار إبراهيم قدور ، رسالة ماجستير في جامعة عين شمس .- القاهرة : ١٩٧٥م .

٣٧ - سنن أبي داود / أبو داود الأزدي السجستاني .- القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٥٢م .

٣٨ - سير أعلام النبلاء/ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ؛ تحقيق د. محيي هلال

السرحان و د. بشار عواد .-بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م .

٣٩ - شذرات الذهب / ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) .- بيروت : المكتب التجاري .

٤٠ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين / الدكتور محمد مجيد السعيد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة : ١٩٧٧م .

٤١ - صحيح البخاري/ البخاري .- القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده .

٤٢ - صحيح مسلم / مسلم.- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٥م .

٤٣ - طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب السبكي (ت٧٧١ هـ) .- القاهرة : المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ هـ .

٤٤ - عقود الجمان / ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ) ؛ مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة : رقم ٣٣٩ (د.ت) .

٤٥ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية / أبو العباس أحمد الغبريني (ت ٧١٤ هـ) ؛ تحقيق عادل نويهض .- بيروت : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٩م .

٤٦ - غاية النهاية / ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ج ١-٢ نشره ج . برجستراسر .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٣٣م .

٤٧ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة / أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (ت ٧١٨هـ) بهامشه كتاب عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرئاسة ، لأبي الحسن على بن هذيل.- القاهرة : ١٣١٨هـ .

٤٨ - غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة / أبو إسحاق برهان

الدين محمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨ هـ) .
٤٩ - في التاريخ العباسي والفاطمي / الدكتور أحمد مختار العبادي .- بيروت : دار النهضة ، ١٩٧١م .
٥٠ - فوات الوفيات / ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) ج ١-٤ ؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٤م .
٥١ - قدماء ومعاصرون / الدكتور سامي الدهان .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦١م .
٥٢ - قصة يوسف (مخطوط) /أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، مصورة الآنسة زاهدة عبدالله محيي عن الخزانة العامة برباط الفتح رقم ١٧٥ .
٥٣ - كشف الظنون / حاجي خليفة الكاتب الجلبي (ت ١٠٦٧ هـ) .- ط الإسلامية .- طهران : ١٩٤٧م .
٥٤ - لمح السحر من روح الشعر ودوح الشحر / أبو عثمان سعيد بن ليون التجيبي (ت ٧٥٠ هـ) ، { وهو مختصر روح الشعر وروح ودوح الشجر لابن الجلاب الفهري (ت ٦٦٤ هـ) ، المكتبة الملكية بالرباط رقم ٧٧٠ } .
٥٥ - مجمع الأمثال / الميداني (ت ٥١٨ هـ) ج ١-٢ ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .- ط٣ .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٢م .
٥٦ - مختارات من أدب العرب / أبو الحسن الندوي ؛ تعليق أبو الفضل البلياوي .- ط ٣ .- جدة : دار الشروق ، ١٩٨٦م .
٥٧ - مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ؛ تحقيق ابراهيم بن مراد .- بيروت : دار الغرب الإسلامي .

٥٨ - المستقصى في أمثال العرب / الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)؛ تحقيق الدكتور محمد عبدالمعيد خان .- حيدر آباد: الهند : المطبعة العثمانية ١٩٦٢م .

٥٩ - مطالع البدور في منازل السرور / علاء الدين البهائي الغزولي .- القاهرة : إدارة الوطن ، ١٢٩٩هـ .

٦٠ - معرفة القراء الكبار/ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ؛ تحقيق سيد جاد الحق ، .- ط ١ .- القاهرة : دار الكتب الحديثة ، د.ت .

٦١ - المغرب في حلى المغرب / ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ) جـ ١- ٢ ؛ تحقيق الدكتور شوقي ضيف .- القاهرة : دارالمعارف ، ١٩٦٤م .

٦٢ - المقتضب من كتاب تحفة القادم / ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ، اختيار أبي إسحاق البلفيقي ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري .- القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٥٧م .

٦٣ - النجوم الزاهرة / ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) .- القاهرة : المؤسسة المصرية العامة ، د.ت .

٦٤ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب / المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس .- ط ١ .- بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨م .

٦٥ - النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب/ الدكتور جمال الدين سرور.- ط ٤ .- القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٦٤م .

٦٦ - نيل الابتهاج بتطريز الديباج / أحمد بابا التمبكتي (ت ١٠٣٦هـ) ، بهامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون .- القاهرة : ١٣٥٦ هـ .

ثانياً : الدوريات :

٦٧ - تراث الإنسانية ، المجلد (١) ، ص ٢٣٨ .
رحلة ابن جبير ، الدكتور حسين نصار .

٦٨ - الثقافة العربية ، ليبيا ، العدد ٩ ، ص ٢٩ .
أدب الرحلات في الإسلام .

فهرس الأشعار

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات
١	خَليفةُ الله دم للدين تحرسه	فئة	البسيط	٢
٢	يا مهدي الموزتبقى	فاء	المجتث	٢
٣	صَحِبت الزمان وقابلته	نابا	المتقارب	٣
٤	أقصرْ عن الغيّ كم ذا	وتأبى	المجتث	٢
٥	ينيل المرء تبصرة وذكرى	وشابا	الوافر	٢
٦	سقى الله باب الطاق صَوب غمامه	غريب	الطويل	١
٧	بسبتةَ لي سكن في الثرى	أتى	المتقارب	٢
٨	لي صديق خسرت فيه ودادي	ربحا	الخفيف	٢
٩	إلى الله أشكو ما تكن الجوانح	الجوارح	الطويل	٣
١٠	قد أحدث الناس أموراً فلا	ناصح	السريع	٢
١١	يا من حواه الدين في عصره	فؤاد	السريع	٧
١٢	يا خيرَ مولى دعاه عبد	اجتهاده	مخلع البسيط	٢
١٣	تأن في الأمر لا تكن عجلا	كادا	المنسرح	٤
١٤	سكان وادي العتيق شوقي	زادا	مخلع البسيط	٤
١٥	لم تلزم الرشدَ يابن رشد	جدك	مخلع البسيط	٢
١٦	يا رشأ حظي إبعاده	إسعاده	السريع	٣
١٧	أفقيهنا المستن ديناً والذي	شواهد	الكامل	٣
١٨	بني الإسلام جدوا في الجهاد	الحداد	الوافر	٧
١٩	إلينا اقصدوا يا معشر الركب إننا	وفود	الطويل	١٠
٢٠	صبرتُ على غدر الزمان وحقده	بشهده	الطويل	١١

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات
٢١	قَد ثبتَ الغَي في العبِاد	والفساد	مخلع البسيط	٠٤
٢١	إذا أزني بحسن العهد	البعاد	الوافر	٠٢
٢٢	صُن العقل عن لحظة في هوى	البصر	المتقارب	٠٢
٢٣	خلعتُ العِذار بشيب العِذار	اعتذار	المتقارب	١١
٢٤	يحسب الناس بأني متعب	الورى	الرمل	٠٣
٢٥	من الله فاسأل كل شيء تريده	ولا ضرًا	الطويل	٠٣
٢٦	أحبُّ النبي المصطفى وابن عمه	الزهرا	الطويل	٠٦
٢٧	يا أهل طيبة قلبي	جارا	المجتث	٠٤
٢٨	أقول وآنست بالليل نارا	أنارا	المتقارب	٣٣
٢٩	هنيئاً لمن حج بيت الهدى	أوزارها	المتقارب	٢
٣٠	من كَبرتْ عن قدره خُطةٌ	الكبر	السريع	٥
٣١	أما في الدهر معتبر	الكدر	مجزوء الوافر	٤
٣٢	يعزُّ علينا أن يقصِّر بالعلا	يقصِّر	الطويل	٢
٣٣	قد ظهرت في عصرنا فرقةٌ	العصر	السريع	٢
٣٤	رب إن لم تؤتني سعة	العمر	المديد	٣
٣٥	زيادة حسن الصوت في الخلق زينة	المحبَّر	الطويل	١١
٣٦	أراك من الحياة على اغترار	بدارِ	الوافر	٠٢
٣٧	وإني لأوثر من أصطفي	العاثر	المتقارب	٠٢
٣٨	أطلّتْ على أفقك الزاهر	الدائر	المتقارب	٥٦
٣٩	أيها المستطيل بالبغي أقصر	الرؤوسا	الخفيف	٠٢
٤٠	لو كنت تبصر منذ يومٍ قد نأى	مجلس	الكامل	٠٢
٤١	لي نحو أرض المنى من شرق أندلس	والقبس	البسيط	١١
٤٢	أبا عمران قد خلفت قلبي	للوديعة	الوافر	٠٢

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٣	ضَلّت بأفعالها الشنيعة	الشريعة	مخلع البسيط	٢.
٤٤	عجبت للمرء في دنياه تُطمعه	يقطعه	البسيط	٦.
٤٥	أقول وقد حان الوداع وأسلمت	ومدامع	الطويل	٢.
٤٦	الحمد لله على نصره	وأشباعه	السريع	٤.
٤٧	الآن قد أيقن ابن رشد	توالف	مخلع البسيط	٢.
٤٨	سلام كأزهار الربيع نضارة	صفا	الطويل	٣.
٤٩	يا وحشة الإسلام من فرقة	بالسفه	السريع	٢
٥٠	قلم به الإقليم أصبح في حمى	يصرف	الكامل	٧
٥١	خليفة الله أنت حقاً	مرقى	مخلع البسيط	٧
٥٢	عليك بكتمان المصائب واصطبر	شفيقاً	الطويل	٢
٥٣	نفذ القضاء بأخذ كل مُمَوِّهٍ	متزندق	الكامل	٢
٥٤	وصعدةٍ لبست سربالَ مشتهرٍ	والأرق	البسيط	٢
٥٥	لا يستوي شرق البلاد وغربها	باسترقاق	الكامل	٤
٥٦	أخلاء هذا الزمان الخؤون	العلل	المتقارب	٤
٥٧	إذا بلغ المرء أرض الحجاز	ما أمّله	المتقارب	٢
٥٨	لأشياع الفلاسفةُ اعتقاد	انحلالا	الوافر	٤
٥٩	إياك والشهرة في ملبس	أسمالها	السريع	٢
٦٠	بلغت أمير المؤمنين مدى المنى	نؤمل	الطويل	٨
٦٠	مولاي إني بحال شوق	يحول	مخلع السريع	٣
٦١	وكم فلتات للصنائع تتقى	محلها	الطويل	٢
٦٢	الناس مثل ظروف حشوها صَبر	العسل	البسيط	٢
٦٣	لصنائع المعروف فلتةُ غافلٍ	قابل	الكامل	٢
٦٤	لعلَ بشير الرضى والقبول	الخليل	المتقارب	١

رقم القطعة	صدر البيت	القافية	البحر	عدد الأبيات
٦٥	بلغت المنى وحللت الحرم	الهرم	المتقارب	١٢
٦٦	قالوا الحبيب شكا جعلت فداءه	كالعندم	الكامل	٢
٦٧	صلاح الدين أنت له نظام	انفصام	الوافر	٦٠
٦٨	أقول وقد دعا للخير داعٍ	المستهام	الوافر	٠٥
٦٩	يا وفود الله فزتم بالمنى	منى	الرمل	١٥
٧٠	غريب تَذكّر أوطانه	أشجانه	المتقارب	٠٣
٧١	شهدنا صلاة العيد في أرض غربة	بانوا	الطويل	٠٢
٧٢	بيان المرء بالإكثار عيب	للبيان	الوافر	٢
٧٣	يا رب هب لي	التمني	مخلع البسيط	٢
٧٤	قل اذا جئت مجلساً	مه	مجزوء الخفيف	٢
٧٥	تنزه عن العوراء مهما سمعتها	أشبه	الطويل	٢
٧٦	يا زائراً لم يقض أن ألقاه	أهواه	الكامل	٧
٧٧	قل للزناديق عني	أمضيه	المجتث	١٠
٧٨	طول اغتراب وبرح شوق	عليه	مخلع البسيط	٦
٧٩	بدت لي أعلام بيت الهدى	عليه	المتقارب	٢
٨٠	طال شوقي إلى بقاعٍ ثلاث	إليها	الخفيف	٣
٨١	يا دمشق الغرب هاتيك	عليها	مجزوء الرمل	٢
٨٢	الدين يشكو بليّه	منطقيّه	المجتث	٤
٨٣	سيكون الذي قُضِيَ	رَضِيَ	مجزوء الخفيف	٣
٨٤	لا تغترب عن وطنٍ	النوى	مجزوء الرجز	٢
٨٥	ألا إن هذا الدهر	سبتِ	الطويل	٢

فهرس نثره

فهرس الأعلام

« ابن »

« أبو »

« س ش ص ض »

« ع غ »

« ف ق ك »

فهرس الأماكن والبلدان

(أ - ب)

(ج - ز)

(س - ك)

(م)

فهرس الموضوعات

المؤلف في سطور
الدكتور منجد مصطفى بهجت

- ولد في كركوك - العراق - سنة ١٩٤٧م ، متزوج وله ستة أبناء .
- حصل على البكالوريوس في الآداب - كلية التربية جامعة بغداد ، عام ١٩٦٨م.
- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - بالقاهرة عام ١٩٧٣م .
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٨٢م .
- عمل أستاذاً للأدب والنقد في جامعتي الموصل وصنعاء منذ عام ١٩٧٦م .
- التحق بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا عام ١٩٩٤م .

الكتب والمؤلفات :

١ - ديوان ابن اللبانة الأندلسي - دراسة وتحقيق - وهي الرسالة التكميلية للماجستير عام ١٩٧٣م (غير منشور) .

٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م .(رسالة الدكتوراه)

٣ - البحر في شعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف والمرابطين - حوليات جامعة الكويت - الحولية السابعة - ١٩٨٦م .

٤ - روضة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من كتاب بادرة العصر وفائدة المصر ، لأبي بكر يحيى الجزار السرقسطي ، دراسة وتحقيق - بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨م .

٥ - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة - دار الكتب بجامعة الموصل ، ١٩٨٨م .

٦ - ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي - شاعر المديح النبوي في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة ·- ط. التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٩٠م.

٧ - قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان لكمال الدين أبي البركات بن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ) تحقيق الجزء السادس بالاشتراك مع د. ناظم رشيد ، الموصل (قيد الطبع) .

٨ - ديون الرحالة ابن جبير الأندلسي ، وما تبقى من نثره ، جمع وتحقيق ودراسة - دار الرفاعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٩٩م .

البحوث والدراسات في المجلات الأكاديمية :

له أكثر من خمسة وعشرين إسهاماً أدبياً بين بحث ، ودراسة ، ومقالة في الدوريات العربية المختلفة مثل :

- مجلة آداب الرافدين الصادرة عن كلية الآداب جامعة الموصل .
- ومجلة آداب المستنصرية الصادرة عن كلية الآداب جامعة المستنصرية ببغداد .
- مجلة الرسالة الإسلامية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ببغداد .
- مجلة اتحاد الجامعات العربية بعمّان .
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .
- مجلة آفاق جامعية الصادرة عن جامعة السليمانية بالعراق .
- مجلة الجامعة ، الصادرة عن جامعة الموصل .
- مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت .
- مجلة دعوة الحق بالمغرب .
- دراسات أندلسية بتونس .
- مجلة عالم الكتب بالرياض .
- مجلة المورد ببغداد .
- بحوث أخرى مقدمة إلى عدة مؤسسات ثقافية ومؤتمرات أدبية في بعض الدول العربية .

ثمرات المطابع من منشورات دار الرفاعي الجديدة

يصدر قريباً عن دار الرفاعي

- أدب عبدالعزيز الرفاعي .. دراسة فنية وموضوعية إبراهيم الشتوي .
- رحلة الحج الجوية .. ترجمة غالب المصري
- قصة حياة ..مذكرات ..ذكريات عبدالعزيز الرفاعي
- فوات الأعلام مع الاستدراكات والإسهام في إتمام الأعلام عبدالعزيز الرفاعي
- الراحلون تأليف عبدالعزيز الرفاعي
- ديوان عبدالعزيز الرفاعي .. تحقيق د. عائض الردادي
- شعراء صحابيون تأليف د. محمد علي دقة
- شعراء مغمورون .. ابن المولى عبدالعزيز الرفاعي
- العربية لغة الإعلام للدكتور عبدالعزيز شرف (طبعة ثانية)
- مرثيات .. أشعار ومقالات .. في تأبين عبدالعزيز الرفاعي

اتصلوا بـ :



ص.ب : ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣

فاكسيملي : ٤٧٩٤٣٢١ - المملكة العربية السعودية

هذا الكتاب

قُدّر لهذا الكتاب أن يطوي عقوداً من الزمان قبل أن يرى النور ، فقد شرعٍ فيه الباحث قبل أكثر من عشرين عاماً ، وبذل فيه وسعه لينير زاوية مظلمة من أدب ابن جبير الأندلسي هي الشعر ، فأخذ يتعهده بالتهذيب والتشذيب حتى استوى على ساقه بصورة جديدة متكاملة ، بعد أن رجع من أجله إلى مخطوطات تليدة ومصادر جديدة وبحوث طريفة . وهو وفاء أدبي لشخصية ذات مكانة مرموقة مشهود بفضلها وعلوّ منزلتها في الأدب العربي الأصيل .

يحوي هذا الديوان سبعة وثمانين نصاً ، بين قصيدة طويلة ، أو مقطوعة قصيرة ، أو بيت يتيم في حوالي خمسمائة بيت ، وهو نزر يسير مما خلّفه الشاعر ، وأشار إليه المؤرخون من راصدي الحركة الأدبية ، لكنه يعطي صورة واضحة جلية عن شاعريته . كما جمع الديوان ما تناثر من نثره بين المصادر والكتب .. مخطوطها ومطبوعها ، وهي نصوص يسيرة بلغت تسعة نصوص بين كلمة موجزة ورسالة إخوانية ، وقف عندها جميعها بالدراسة والبحث محللاً إياها ، منتهياً إلى أحكام عامة في سماتها الفنية في كل من الشعر والنثر ؛ لذلك يأتي الكتاب في قسمين رئيسيين : هما الدراسة والتحقيق .

لقد أدرك معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي يرحمه الله صاحب الدار بحسه المرهف وذوقه الرفيع .. القيمة الفنية لأشعار الرحالة ابن جبير ، فكتب إلى المحقق عام ١٤١٠هـ ، بغرض نشرها في داره العامرة ، إلا أن عوائق كثيرة حالت دون نشرها أهمها وفاة الشيخ الرفاعي ، والكتاب بين يدي الطابع ، حتى واصل أبناؤه مسيرة أبيهم فاهتموا بالكتاب ، ليهنأ محبو الأدب بعامة ، والأدب الإسلامي والأندلسي بخاصة بهذا النتاج القيم الرفيع .

كذلك أكد الدكتور عماد الدين خليل الباحث المتخصص في دراسة الأب الإسلامي قيمة هذا الديوان النفيس ، فكتب تقديماً ضافياً له يعد نموذجاً للنقد التطبيقي الرفع .

وهاهو « ديوان الرحالة ابن جبير الأندلسي » تضعه دار الرفاعي بين يدي القارىء ليجد فيه المتعة والفائدة .

الناشر

ردمك : ×-٨-٠- ٦٦٢ - ٩٩٦٠